subul.magazine

سُبل

مجلة دورية تصدر عن مؤسسة رواق

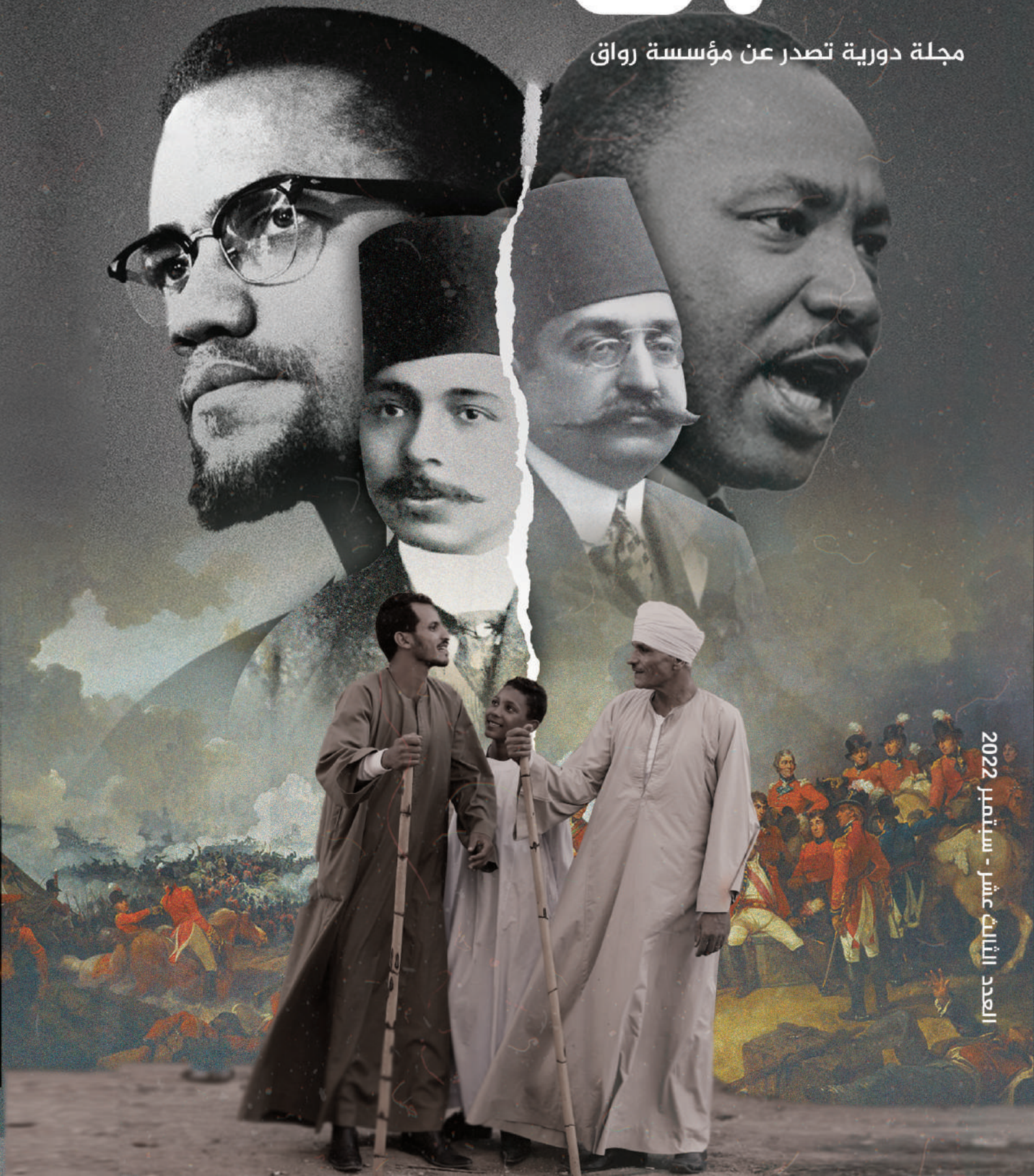

العدد الثالث عشر - سبتمبر 2022

المحتوى

4 افتتاحية العدد

7 الجذور التاريخية لفكرة التنظيم في مصر
تقادم الخطيب

13 مارشال هودجسون وإعادة التفكير في التاريخ العالمي
عبد الرحمن حسام

20 مالكوم إكس ومارتن لوثر كينج: لعبة الإصلاح والثورة
إسماعيل عرفة

27 مراجعة كتاب «سياسات تقنين الشريعة» عن السلطة الاستعمارية وتشكل الدولة المسلمة
إسلام هلال

37 صعيد مصر بين المخيلة التاريخية والواقع المعاصر
يارا خليل

46 المقاومة المسلحة وتيار الجهاد العالمي
أحمد الحمدان

55 الكتابة الإبداعية بين لذة التعبير وألم الشعور
عبد الهادي اباغانم

كتاب العدد

رئيس التحرير
محمد عباس

تقادم الخطيب

حاصل علي الدكتوراه بإشراف مشترك ين جامعتي برلين وبرينستون
محاضر بجامعة هايدلبرغ الألمانية
عضو لجنة الحريات الأكاديمية لرابطة دراسات الشرق الأوسط الإنجليزية

عبد الرحمن حسام

حاصل على دكتوراه في النظرية السياسية والدراسات الحضارية من جامعة ابن خلدون تركيا
مهتم بالتغيير السياسي والاجتماعي

إسلام هلال

محام وباحث دكتوراه
متخصص في الشريعة والقانون،
مهتم بقضايا تقنين أحكام الشريعة الإسلامية وآثاره الاجتماعية والسياسية

أحمد الحمدان

طالب علوم سياسية

يارا خليل

باحثة في التاريخ والفكر الإسلامي

إسماعيل عرفة

باحث ومحرر صحفي
مؤلف 4 كتب تتناول ظواهر اجتماعية مثل الإلحاد، والهشاشة النفسية، والانتحار، والفردانية

عبد الهادي اباغانم

كاتب مغربي وباحث في الأدب
حاصل على دبلوم الماستر في الأدب العربي

افتتاحية العدد

من الصفات المركزية للعلماء والباحثين، مساءلة الذات، بقدر ما يُسائل الباحث افتراضاته المسبقة، ونظرياته التي تعود عليها، والبيئة الفكرية التي تشكّل فيها، بقدر ما يصبح عمله أصيلاً وذا قيمة معرفية، إذ بهذا يحاول الباحث أن يتحرر مما أجبرته عليه الأقدار، ليفتح لنفسه أفقًا جديدًا قد يكون أبلغ حجة وأجدر تفسيرًا.

ورغم أن مساءلة الذات تلك أمرٌ غاية في الصعوبة، إلا أن تدريب النفس على الانفتاح الفكري تورث للباحث عن الحقيقة سِعةً ضرورية للنظر في تعقيد الظواهر، ولعل إشكالية الاستقطاب التي نشاهدها مرة تلو الأخرى في بلادنا -كما في العالم أجمع- ناتجة عن تكلس فكري تورّث فيه الأيديولوجيات والنظريات توريثًا، حتى بين المثقفين والنخب، دون تمحيص أو تدقيق، ولعل الانفتاح على التيارات الفكرية والتقاليد النظرية المختلفة يمكّن الباحث من رؤية المشتركات، أو تقدير الإضافة المعرفية لكل مدرسة، ومن ثم البحث فيما هو أصلح.

من هذا المنطلق، تحاول مجلتنا أن تعرض على قرائها «سبلَ» مختلفة، نتفق معها أو نختلف، لإيماننا أن فيها ما قد ينفع.

في هذا العدد، يتناول تقادم الخطيب الجذور التاريخية لفكرة التنظيم في

مصر، عبر تقديمه تجربة الحزب الوطني ونضاله في مواجهة الاحتلال، ليستخلص الأسباب التي أدت فيما بعد لتراجع التنظيمات السياسية بل والمجتمعية.

فيما يدعو عبد الرحمن حسام لإعادة التفكير في التاريخ العالمي، وبالتحديد من وجهة نظر مارشال هودجسون، الذي يؤمن بأن ثمة تاريخ واحد للعالم، ساعيا لوضع الحضارة الإسلامية في سياقه.

ويتناول إسماعيل عرفة الصراع التقليدي بين ثنائية الإصلاح والثورة، عبر استعراضه تجربة مالكوم إكس ومارتن لوثر كينج في مواجهة العنصرية.

ويسافر بنا إسلام هلال إلى 3 دول هي ماليزيا والهند ومصر، حيث يستعرض كتاب «سياسات تقنين الشريعة» الذي يبحث في دور كل من الاستعمار والنخب المحلية ويربطه بتشكل الدولة المسلمة في هذه الدول.

بينما تأخذنا يارا خليل في جولة بصعيد مصر، على مدى زمني طويل، تعرض خلالها علاقة تلك المنطقة بالسلطات السياسية التي حكمت مصر على مر العصور، في عرض تاريخي جذاب وسلس.

ويصحبنا أحمد الحمدان في رحلة محفوفة بالمخاطر، يناقش خلالها الأفكار المؤسسة لتيار الجهاد العالمي، والسبل التي يسعى من خلالها لتغيير الأنظمة وتشكيل المجتمعات في العالم الإسلامي.

وأخيرا، يمتعنا عبد الهادي اباغانم بلغته الأدبية، بمقالة حول الكتابة الإبداعية وما تحققه للكاتب من لذة رغم أنها كثيرا ما تعبر عن آلامه وأوجاعه.

اقرأ وشاركنا أفكارك

الجذور التاريخية لفكرة التنظيم في مصر

الجذور التاريخية لفكرة التنظيم في مصر

تقادم الخطيب

حاصل علي الدكتوراه بإشراف مشترك ين جامعتي برلين وبرينستون
محاضر بجامعة هايدلبرغ الألمانية
عضو لجنة الحريات الأكاديمية لرابطة دراسات الشرق الأوسط

الإنجليزية

مدخل

تعاني الحياة السياسية المصرية منذ عقود من ضعف شديد فيما يتعلق بمسألة التنظيم، وبالتحديد العمل السياسي والمجتمعي المنظم ببنية تقدمية، بعيدا عن بدائية الممارسة في مجموعات أو ائتلافات، كما شهدت فترة الانتفاضة الثورية في يناير في 2011، أو كما يتم ممارسته الآن من قبل المجموعات الموجودة في المنفى، فما هي الجذور التاريخية لفكرة العمل التنظيمي في الحياة السياسية المصرية، وما هي العوامل التي أدت إلى إضعاف الفكرة وتدهورها؟

لقد كان لدي مصر تجارب تنظيمية مهمة في بداية القرن الماضي، ساهمت في تغيير الواقع السياسي والدفع قدما بحركة التحرر الوطني ضد الاستعمار، إلا أن هناك ثلاثة عوامل -من وجهة نظري- أدت لإضعاف فكرة التنظيم وإدراك أهميته.

أولها: الاحتلال الإنجليزي، الذي قام بمطاردة الفاعلين الرئيسيين في عملية التنظيم في الحياة السياسية المصرية، وبالتحديد مجموعة الحزب الوطني، الذي أسسه مصطفى كامل عام 1907، ففي الفترة السابقة لاندلاع ثورة 1919، قام الاستعمار البريطاني بمطاردة

يعتبر الحزب الوطني هو الحزب السياسي الوحيد في التاريخ السياسي المصري الحديث، الذي استطاع أن يؤسس لنفسه فرعا في المنفى (في برلين)، وهي ظاهرة لم تتكرر في تاريخ المنفى المصري حتى اليوم، ويعود هذا إلى إيمان قادة هذا التيار بأهمية التنظيم المجتمعي والسياسي في العملية السياسية وتحقيق الأهداف.

ونفي العديد من السياسيين المصريين، وكان معظمهم أعضاء في الحزب الوطني المصري، إلى جانب حركة طلابية واسعة، تنتمي إلى نفس الحزب، وقد تواجدت تلك الحركة في أوروبا وبصورة خاصة في ألمانيا وسويسرا[1].

وكان السبب الرئيس خلف هذه المطاردة هو القدرة العالية لهذه المجموعات على التنظيم، ويعتبر الحزب الوطني هو الحزب السياسي الوحيد في التاريخ السياسي المصري الحديث، الذي استطاع أن يؤسس لنفسه فرعا في المنفى (في برلين)، وهي ظاهرة لم تتكرر في تاريخ المنفى المصري حتى اليوم، ويعود هذا إلى إيمان قادة هذا التيار بأهمية التنظيم المجتمعي والسياسي في العملية السياسية وتحقيق الأهداف[2]، حيث يعتبر قادة هذا التيار هم مؤسسو نظرية التنظيم الوطني المصري -إذا جاز التعبير- وعلى رأسهم عبد الله النديم، مصطفى كامل، محمد فريد، عبد العزيز جاويش، وآخرين، فهؤلاء رواد العمل الوطني المنظم.

حيث انطلق رجال الحزب ينظمون العمال في نقابات، وينظمون الفلاحين في جمعيات تعاونية زراعية، وقد كان محمد فريد حينها هو المحرك لهذه المسألة والدافع نحوها، وقد أوجد بذلك الأساس العملي للتحرك الحزبي في صفوف الطبقتين المقهورتين من خلال تنظيمهما في مؤسسات اقتصادية واجتماعية، يمسك الحزب الوطني بزمام التوجيه فيها.

كانت أولى النقابات التي أسسها الحزب نقابة عمال الصنائع اليدوية في بولاق، والتي اتسع نشاطها حتى أصبح عدد أعضائها 800 عضو، ثم أنشئت لها فروع أخرى في الإسكندرية والمنصورة وطنطا،

1 - عبد الرحمن الرافعي: ثورة 1919. تاريخ مصر القومي من 1914 إلى 1921. دار المعارف 1978.
2 - للاطلاع على نقاشات أوسع عن الحزب الوطني يمكن الرجوع إلي: Jacob M. Landau: Parliaments and Parties in Egypt. Routledge. 2016

المؤيد

جريدة يومية سياسية تجارية

AL-MOAYAD

مصر في يوم الاربعاء ٢٠ محرم سنة ١٣١٤ — فروت محكمة استئناف مصر والمحاكم الاهلية جريدة المؤيد رسميا لنشر الاعلانات القضائية — ١ يوليه سنة ١٨٩٦ — ٢٥ بؤنه سنة ١٦١٢

مصر في ٢٠ محرم سنة ٣١٤

مثال من تعصب الانكليز

(عن الدولة العلية)

روت الشركات التلغرافية العمومية الجرائد السيارة منذ ثلاثة سابيع ان ثائرين من الكريديين انقضوا على جماعة من المسلمين كانوا بالقرب من «فاموس» مشتغلين بنقل ماكلفتهم الحكومة بنقله من بقضهم وقضيضهم على الجنود العثمانية والمسلمين فيذبحوا من قدروا على ذبحه منهم ويحاصروا من قصرت يدهم عن مقر بطونهم وتمزيق أجسامهم بالسيف والنار والمدى والخناجر ثم يكون عملهم هذا من قبيل مايعذر عليه الانسان اذا ظن ان الغير حامل للاغارة عليه . وتلقاء كل هذا يجب على الدولة العلية ان لاتحرك ساكنا ولاتسير جندا لتأديب ثائر او للقصاص من قاتل او خلاص مأسور حتى لا يغضي عملها هذا

وأوربا السهى وترى القمر

(مصر والسودان)

(لكاتب نجيب)

للجيش المصري بسالة واقدام في حروبه وفتوحاته يعرفهما التاريخ فيه وتشهد بهما بطاحاء السودان واطراف الحجاز والشام فلا غرو ان تدب في أنامله اليوم روح آبائهم الشرفة وان تعقد لهم ألوية النصر فيحققوا لهذا الوطن نصيبه الماضي من محاسن الذكر ومحامد الفخر

مسيرة في مصلحة المحتلين وثناء على الجيش لما يبديه من مظاهر البسالة والاقدام وفرحه بانتصاره على خصومه من أوجه المناقضات او ان هذا الاخير من قبيل التصل بما كتب في وجهة الحملة او لا يحكم الرأي العام عليها وياضيعة مايزعمون

تقررت هذه الحملة فجأة في لندن وصرح وزراؤها رسميا بكونها مهيأة لخدمة الطليان وانقاذ كلا خوفا من وقوعها في أيدي الدراويش فتصبح خطرا على التمدن

واعداء الشرف حالة كونه مشترى بزينة الحياة الدنيا . بالمال والبنين ...

بقي علينا ان ننظر فيما يكون عليه مستقبل هذا الجيش مع أعدائه وان نسأل قواده استعمال الخدعة على قدر الطاقة حقنا للدماء وبأبى شرفنا الا الاعتراف لسعادة السردار بسداد الرأي والتدبير فيما ظهر منه الى الآن فهو على قدر مايؤثر عنه من اخلاق النسرع لايزل الا على نصر محقق

واما الهنود في سواكن فحظهم من هذه الحرب السودانية ومقاتلة الدراويش من جهات بربر اشبه شيء بحظ المصريين منها تماما ولكن الهند مستعمرة انكليزية فهل يا ترى مصرنا أصبحت كذلك ؟؟ وان هذا الذي يكن اليوم فالانكليز ينتظرونه غدا ثم يضمون السودان اليها فتصبح هنداً ثانية . وهاهم ساعون منذ اليوم في تحديد تخوم الحبشة والسودان

فقد بلغ المؤيد الاخر ان المندوب

وقد قام رجال الحزب أيضا بإنشاء 23 نقابة للتعاون الزراعي، و17 شركة تعاون منزلي[3].

ثانيا: كان هذا العصر هو عصر التنظيمات على مستوى العالم، وكذلك عصر الإصدارات، ففي مصر مثلا وجدت جرائد أخرى مثل جريدة الأهرام 1875، والمؤيد 1889، والمنار 1898 والتي أنشأها رشيد رضا، أحد تلامذة محمد عبده، وقد لعبت هذه الإصدارات دورا كبيرا في الحياتين السياسية والثقافية في مصر والعالم العربي[4] ، كما أن ارتباط فكرة الإصدارات بفكرة التنظيم وجدت مكانا داخل أجندة العمل السياسي للحزب، فمصطفى كامل مؤسس الحزب أصدر من قبل جريدة اللواء عام 1900، والتي كان عدد إصداراتها في العام الواحد يقدر بحوالي عشرة آلاف نسخة.

أما السبب الثاني في القضاء على تجربة التنظيم وإضعافه في مصر؛ هو دولة يوليو، التي أنشأها الضباط، ويرجع ذلك إلى عاملين أساسيين، أولهما: أن ضباط يوليو تأثروا بحركة التحرر القومي ضد الاستعمار، ومن هنا لم يكن لديهم إيمان بالديمقراطية لأنها لن تقوم بعملية جلاء الاستعمار، والعامل الثاني: هو خوفهم من مسألة التنظيم حتى لا يتم خلق مجال تنافسي على السلطة.

أما السبب الثالث؛ فقد كان الأيدلوجية، حيث إن التيارات التي تبنت فكرة التنظيم وحاولت ممارسته، قامت بذلك من خلال منظور أيديولوجي، مقدمة الأيدلوجية على التنظيم وجعلها الإطار الحاكم له وليس العكس.

3 رفعت السعيد: محمد فريد الموقف والمأساة: رؤية عصرية. ص95 الهيئة العامة للكتاب، 1991

4 Robert L.Tignor: Modernization and British Colonial Rule in Egypt. 1882–1914, 1966. P.249–291.

> لعب التنظيم دورا أسياسيا في تقوية جهود الحزب الوطني خلال عملية مكافحة الاستعمار، حيث استطاع قادته إلى جنب قادة سياسة الجوار الأوروبية لعب دور حاسم في حشد المصريين للإعلان عن مطالبهم الوطنية للجمهور العام الأوروبي، وبالرغم من الانقسامات السياسية والثقافية والتفاوتات الاقتصادية بين أعضاء الحزب الوطني، إلا أنهم تمكنوا من خلق أرضية مشتركة حول هدفهم المتمثل في إنهاء الاستعمار وتعزيز حركة الاستقلال في وطنهم.

تجربة الحزب الوطني

لعب التنظيم دورا أسياسيا في تقوية جهود الحزب الوطني خلال عملية مكافحة الاستعمار، حيث استطاع قادته إلى جنب قادة سياسة الجوار الأوروبية لعب دور حاسم في حشد المصريين للإعلان عن مطالبهم الوطنية للجمهور العام الأوروبي، وبالرغم من الانقسامات السياسية والثقافية والتفاوتات الاقتصادية بين أعضاء الحزب الوطني، إلا أنهم تمكنوا من خلق أرضية مشتركة حول هدفهم المتمثل في إنهاء الاستعمار وتعزيز حركة الاستقلال في وطنهم.

أثرت الطبيعة الاجتماعية والسياسية لألمانيا في ذلك الوقت كدولة مضيفة على أفكار المجموعات المصرية المنفية هناك[1]، فقد كان هناك تياران متنافسان داخل الحركة القومية المصرية، التيار الأول؛ كان يمثله الشيخ عبد العزيز جاويش، وكان يمثل الجناح الإسلامي، وهو الجناح الذي أصر على العلاقات الوثيقة مع تركيا (الإمبراطورية العثمانية حينها)، وهو كذلك التيار الذي كان يتمسك بالجامعة الإسلامية والولاء لدولة الخلافة.

أما الجناح الثاني؛ فكان يمثله الزعيم الوطني محمد فريد، والذي كان يمثل توجهاً علمانيًا أكثر براغماتية، والذي كان يهدف إلى الحكم الذاتي الكامل لمصر بعيدا عن الدولة العثمانية، كان فريد يفكر في اتحاد إسلامي شامل على غرار الاتحاد الألماني، على أن يتم تأسيسه بعد الحرب ويقوده العثمانيون، ولكن مع تمتع كل دولة إسلامية بالحكم الذاتي والمشاركة في الحقوق المتساوية مع الأتراك. كان فريد يعتقد أن التحالف بين الاتحادات الألمانية والإسلامية سيكون معقلاً قويا ضد

1 - للاطلاع علي سياسات الدول المضيفة يمكن الرجوع إلي:
Yossi Shain, The Frontier of Loyalty: Political Exiles in the Age of the Nation-State (University of Michigan Press, 2005), 6.

القوة الأوروبية والإمبريالية، لم يكن فريد أثناء فترة تواجده في مصر، قبل المنفي، يتبنى مثل هذا الطرح، لكن التغيير في موقفه هو وآخرين كان لسببين، **الأول؛ الاحتكاك بالثقافة الأوروبية، والثاني؛ أن مسألة استقلال مصر والتصور الذي تبناه محمد فريد لشكل العلاقة بين مصر والدولة العثمانية عرضه للخطر والاعتقال على أيدي السلطات التركية، وكانت هذه أحد الدوافع التي دفعته لمغادرة إسطنبول إلى برلين**[2].

لكن بالرجوع إلى فكرة التنظيم التي تبناها الحزب الوطني وكانت أحد سماته في الممارسة السياسية، نجد أن قادة الحزب الوطني، كانوا سابقين للغرب في إدراك أهمية التنظيم، ولعل هذا الأمر يعود إلى احتكاك قادة الحزب، وعلى رأسهم مصطفى كامل، بالواقع الأوروبي، خاصة ألمانيا وفرنسا[3]. ، فقد دلت الأحداث التاريخية أن الحالة الجماهيرية لا تنتج حكما فعالا، حيث تنتهي تلك الحالات/ الحركات الجماهيرية إما لدكتاتورية فردية أو إلى الفوضى، فظاهرة الأحزاب والتنظيمات السياسية ظاهرة حديثة وعصرية تبلورت بعد فشل أنصار الاتجاه الجماهيري الفوضوي إبان انتفاضة عمال باريس عام 1871.

وبعد أن فشلت تلك الانتفاضة بسبب الطابع الفوضوي الذي تحكم بها، طالب عدد من القادة الاشتراكيين بإقامة حد أدنى من العلاقات التنظيمية والسياسية لتنسيق توجهات وحركة الطبقة العاملة في أوروبا، وعندما نشر ماركس وانجلز البيان الشيوعي في العام 1848، بدأ مفهوم الحزب الحديث يتبلور ويتغلب على المفاهيم الأخرى مثل الرابطات الأممية والحركات العمالية الفكرية، وأطلق ماركس وانجلز على هذا التشكيل السياسي المطلوب اسم حزب البروليتاريا، أي حزب الطبقة العاملة.

واستمر العمل الغير منظم حتى ظهور لينين على الساحة السياسية عام 1905، والذي طور أفكار ماركس بشأن حزب البروليتاريا ووضع نظرية متماسكة عن مفهوم الحزب ودوره في كتابه الشهير: «ما العمل؟»، وطالب بتكوين منظمة مركزية تتألف من الثوريين المحترفين بقيادة زعماء سياسيين، وهكذا رد لينين على التيار الفوضوي الاشتراكي من خلال تأسيس تنظيم محترف لقيادة النضال ضد الشرطة السرية ومؤسسات القيصرية الروسية، وتمكن الحزب الشيوعي من الوصول إلى الحكم في روسيا العام 1917.

2 - Raouf Abbas Hamed: Germany and the Egyptian Nationalist movement 18821918-. New Series, Bd. 28, Nr. 14/, P. 19, (1988)

3 - Höpp, G., „Die ägyptische Frage ist in Wirklichkeit eine internationale" - Zur politisch-publizistischen Tätigkeit ägyptischer Antikolonialisten in Berlin 19181928-, in: Afrika, Asien, Lateinamerika, 98-87 .ص ,1987 ,15 .رقم;

خاتمة

إدراك الحزب الوطني لأهمية التنظيم ودمجه في الممارسة السياسية من أجل إحداث تغيير ترك أثره على الحركات الإسلامية التي مارست السياسة من منطلق أيديولوجي، ولعل هذا ما دفع فيما بعد عددا من الإسلاميين للسعي نحو الاستفادة من أساليب الحزب السياسي التي مارسها الحزب الوطني، لاستعادة المجد الإسلامي، ولهذا أسس حسن البنا «الإخوان المسلمون» في 1928، وأسس أبو الأعلى المودودي «الجماعة الإسلامية» في فترة مقاربة، وتأسست أحزاب أخرى مثل حزب الدعوة الإسلامية في العراق عام 1958، وهذه الأحزاب الإسلامية اعتمدت على اجتهادات مثل مقدمة الواجب واجب، بمعنى إذا كانت استعادة الحكم الإسلامي واجبة فإن الطريق إلى ذلك (التنظيم السياسي) واجبة أيضا.

لكن ونتيجة لعدم إدراك العوامل التي أدت لضعف التجربة التنظيمية في مصر وفي المجتمعات العربية والإسلامية، ومحاولة تقديم معالجة لها، إلى جانب عدم الاطلاع على تجارب الدول الأوروبية في كيفية تطور فكرة التنظيم، والخروج من عباءة المفاهيم التقليدية، وإقامة حد أدنى من العلاقات التنظيمية والسياسية فشلت التجربة لدى الإسلاميين وغيرهم من التيارات الأخرى، وأدي ذلك إلي تعميق الحساسية تجاه العمل السياسي والمجتمعي المنظم.

نتيجة لعدم إدراك العوامل التي أدت لضعف التجربة التنظيمية في مصر وفي المجتمعات العربية والإسلامية، ومحاولة تقديم معالجة لها، إلى جانب عدم الاطلاع على تجارب الدول الأوروبية في كيفية تطور فكرة التنظيم، والخروج من عباءة المفاهيم التقليدية، وإقامة حد أدنى من العلاقات التنظيمية والسياسية فشلت التجربة لدى الإسلاميين وغيرهم من التيارات الأخرى، وأدي ذلك إلي تعميق الحساسية تجاه العمل السياسي والمجتمعي المنظم.

subul.magazine

مارشال هودجسون

وإعادة التفكير في التاريخ العالمي

مارشال هودجسون وإعادة التفكير في التاريخ العالمي

عبد الرحمن حسام

حاصل على دكتوراه في النظرية السياسية والدراسات الحضارية من جامعة ابن خلدون تركيا مهتم بالتغيير السياسي والاجتماعي

يعتبر مارشال هودجسون، على قلة شهرته، من أهم من كتب عن الإسلام وأوروبا والتاريخ العالمي في القرن المنصرم، فبشكل عام يتناول هودجسون في كتاباته ثلاث موضوعات أساسية:

أولا؛ موقع كل من أوروبا والحداثة في التاريخ العالمي، وينطلق هودجسون من ذلك لتحدي الخطابات السائدة حيال المركزية الغربية والتعددية الثقافية.

ثانيا؛ يسعى هودجسون لوضع الحضارة الإسلامية في سياق التاريخ العالمي الأوسع.

وثالثا؛ يدلل هودجسون على أنه ثمة تاريخ واحد هو التاريخ العالمي إذا لا يمكن فهم أي من السرديات التاريخية الجزئية إلا بوضعها في سياقها الأشمل وهو التاريخ العالمي.

المسلمـــــون كجزء من التاريخ العالمي

وقـد كتـب هودجسـون عـدة كتـب أهمهـا كتابـه: «مغامـرة الإسـلام: الضميـر والتاريـخ في حضـارة عالميـة» ، والـذي نُشـرت طبعتـه العربيـة العـام الماضـي عـن الشـبكة العربيـة للأبحـاث والنشـر، إلـى جانـب كتابـه الأكثـر أهميـة والأقـل شـهرة للأسـف: «إعـادة التفكيـر في التاريـخ العالمـي: مقـالات عـن أوروبـا والإسـلام والتاريـخ العالمـي» ، والـذي لـم يُترجـم بعـد.

يقـول هودجسـون: «إن المجـال الخطابـي الوحيـد لـكل البحـث الإنسـاني ذي المعنـى الـذي يمكـن أن يصمـد أمـام النقـض والدحـض هـو في النهايـة الإنسـانية جمعـاء»، ومـن هنـا سـعى هودجسـون لتـلافي تحيـزات المركزيـة الغربيـة والتحيـز للواقـع الراهـن ومنعهـا مـن تشـويه أسـاس البحـث التاريخـي، ولذلـك قـارن هودجسـون بيـن تطـور الحضـارة الإسـلامية في محطـات محـددة في تاريخهـا بتاريـخ الحضـارة الأوروبيـة الغربيـة لتجـاوز طغيـان فكـرة الاسـتثناء الغربـي الـذي وسـم غالـب الكتابـة الاستشـراقية عـن الإسـلام، وقـد أدى وعـي هودجسـون المنهجـي وعـدم رضـاه عـن المصطلحـات الدارجـة إلـى نحتـه لمصطلحـات جديـدة مثـل مصطلـح «إسـلاماتي» (Islamicate)، بـل وجـادل هودجسـون في الفصـل الثالـث مـن كتابـه «إعـادة التفكيـر» والمعنـون: «المنهـج التاريخـي في الدراسـات الحضاريـة» بضـرورة ابتـكار مصطلحـات جديـدة، وبأهميـة الوعـي الذاتـي في الدراسـات التاريخيـة.

يسـتهل هودجسـون الجـزء الأول مـن الكتـاب: «أوروبـا في سـياق عالمـي» بفصـل عنوانـه: «العلاقـات البينيـة للمجتمعـات عبـر التاريـخ» حيـث يتنـاول المسـارات التاريخيـة التـي ارتبطـت فيهـا مصائـر المجتمعـات الإنسـانية معـا.

وفي الفصـل الثانـي والـذي جـاء بعنـوان «في منتصـف الخريطـة: الأمـم تـرى نفسـها مركـز التاريـخ» يتنـاول هودجسـون كيـف ينعكـس الوعـي الذاتـي للأمـم على مخيلهـا الجغرافي.

وفي الفصـل الثالـث: «التاريـخ العالمـي ومقاربـة عالميـة» يتسـاءل هودجسـون حيـال اعتبـار التاريـخ الأوروبـي هـو التاريـخ العالمـي بأسـره.

وفي الفصـل الرابـع: «التحول المتراكـب الغربي العظيـم» يتنـاول هودجسـون مشـكلة الحداثة وكيـف يمكـن وضعهـا في سـياق تاريخـي، وهـل باعتبارهـا عمليـة عالميـة تجـذرت في أوروبـا أم باعتبارهـا تمظهـرا أوروبيـا؟

وفي الفصـل الخامـس: «المنهـج التاريخـي في الدراسـات الحضاريـة» يتعـرض هودجسـون للأخطـاء والأخطـار التـي يمكـن أن يتعـرض لهـا الباحـث في التاريـخ العالمـي إذا لـم ينتبـه ويفكـر جيـدا في بعـض القضايـا المعرفيـة والمفاهيميـة.

أمـا في الفصـل السـادس فيقـدم هودجسـون خارطـة طريـق مختصـرة للنقـاط الأساسـية في منهجـه، والتـي تتعلـق بتناولـه للتاريـخ

العالمـي.

يضم الجزء الثاني من الكتاب: «الإسلام في سياق عالمي» أربعة فصول، وفي الفصل السابع «دور الإسلام في التاريخ العالمي» يقدم هودجسون مقاربة عامة ومذهلة لتاريخ الحضارة الإسلامية.

وفي الفصل الثامن: «النمذجة الثقافية في عالم الإسلام والغرب» يواصل هودجسون مقارنته المهمة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية.

أما في الفصل التاسع: «وحدة التاريخ الإسلامي المتأخر» يجادل هودجسون بوجود وحدة أساسية للتاريخ الإسلامي في حقبة ما بعد المغول على خلاف التقاليد العلمية المتجذرة.

وفي الفصل العاشر: «الحداثة والميراث الإسلامي» يعلق هودجسون متأملاً وضع المسلمين في العالم المعاصر.

ويختم هودجسون الكتاب بجزء ثالث عن «التاريخ العالمي كمجال معرفي» يضم ثلاثة فصول.

في الفصل الحادي عشر: «موضوعية البحث التاريخي الممتد: حدوده ومتطلباته الخاصة»، والفصل الثاني عشر: «شروط المقارنة التاريخية بين العصور والأقاليم: حدود صحتها»، والفصل الثالث عشر: «الدراسات البين-إقليمية كضم للحقول المعرفية التاريخية: المترتبات العملية للتوجه البين-إقليمي بالنسبة للباحثين والعامة»، يناقش هدجسون مسألة الموضوعية في البحث التاريخي ويقدم تأملاته حيال المقارنة التاريخية، كما يجادل هودجسون بأن التاريخ العالمي هو المجال المعرفي الرئيسي (the master discipline) الذي وحده ما يضفي المعنى على البحث التاريخي على مستويات أقل عمومية.

لقد لعب الاستشراق كمجال معرفي دورا أساسيا في مد الهيمنة الغربية على الشرق الأوسط وعلى غير الغربيين عموما، وقام الاستشراق على فكرة التفوق الأخلاقي والثقافي للحضارة الغربية على العالم بأسره، وعلى هذا الأساس فإن تاريخ الغرب هو قصة الحرية والعقلانية، بينما تاريخ الشرق هو قصة الاستبداد والجمود الثقافي.

لقد كان التاريخ الإسلامي بالنسبة لهودجسون نقطة استراتيجية لتوجيه نقد عميق للخطاب الاستشراقي، حيث جادل هودجسون بأن كلا من الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية أخوات، حيث تمتد جذورهما معا في نفس القيم الثقافية والدينية الأساسية الإيرانو-سامية التي تقاطعت مع الميراث الغامض للتوسع الصيني غرب آسيا.

الإسلام والغرب: اختلاف أم تشابه؟

> كان الإسلام هو «الآخر» الأكثر غنى على نحو هائل والأكثر نجاحا الذي عرف الغرب نفسه في مقابله، ومن ثم عند النظر إلى تاريخ عالم الإسلام والغرب من المنظور التاريخي، فإن كليهما يصنعان دراسة خلابة عن نشأة مجتمعين مختلفين على نحو مميز، ولكن في ذات الوقت متشابهين، ولذلك فإن تاريخ الحضارة الإسلامية بالضرورة يدعو لإعادة دراسة التاريخ الأوروبي على نحو يضع تطورها في سياق تاريخي، وفي إطار هذه العلمية ينزع حالة الاستثناء عن الغرب.

كان الإسلام هو «الآخر» الأكثر غنى على نحو هائل والأكثر نجاحا الذي عرف الغرب نفسه في مقابله، ومن ثم عند النظر إلى تاريخ عالم الإسلام والغرب من المنظور التاريخي، فإن كليهما يصنعان دراسة خلابة عن نشأة مجتمعين مختلفين على نحو مميز، ولكن في ذات الوقت متشابهين، فكلاهما يضمان خلطة خاصة من التقاليد الهيلينستية، والتوحيد النبوي في غرب آسيا، والامبراطوريات البيروقراطية المعتمدة على الزراعة، ولذلك فإن تاريخ الحضارة الإسلامية تقريبا بالضرورة يدعو لإعادة دراسة التاريخ الأوروبي على نحو يضع تطورها في سياق تاريخي، وفي إطار هذه العلمية ينزع حالة الاستثناء عن الغرب.

كيف يضع هودجسون الحضارة الغربية والإسلامية مفاهيميا في سياق التاريخ العالمي؟ جادل هودجسون بأنه من منظور تاريخي عالمي فإن تاريخ الحضارة هو بالضرورة تاريخ متمركز حول آسيا. فمثلا مجموعة المجتمعات المدينية التي امتدت عبر أفرو-أوراسيا هي آسيوية في غالبها، كما أن أربعة من الحضارة الخمس الأساسية آسيوية.

ولذلك بالنسبة لهودجسون فإن المنظور الذي ينطلق من العلاقات بين-إقليمية هو أكثر صحة ومنطقية من الاقترابات التي

تضع الغرب في مركز التاريخ، فضلا عن ذلك، لاحظ هودجسون أن أوروبا الغربية لم تصل للمستوى الثقافي الذي وصلت له حضارات أفرو-أوراسيا الأخرى إلا بعد العام 1500 تقريبا.

تساءل هودجسون كذلك عن صحة صورنا المادية عن التاريخ وليس فقط تصوراتنا العقلية، وتناول بالنقد منظور مركاتور السائد في عالم اليوم في رسم الخرائط، يضع منظور مركاتور الغرب في منتصف الخريطة، ومن ثم فإنه يشوه على نحو منظم صورة الجزء الجنوبي من الكرة الأرضية، على سبيل المثال؛ على الرغم من أن أوروبا تساوي في المساحة تقريبا الهند وجنوب شرق آسيا، فإن أوروبا تدعى قارة، بينما تدعى الهند شبه قارة، أما جنوب شرق آسيا فلا شيء من ذلك.

أحد أهم إسهامات هودجسون هو إعادة تقييمه للتاريخ الحديث وموقع أوروبا فيه، وذلك في الفصل الرابع: «التحول المتراكب الغربي العظيم»، كان هذا التحول عملية تغيير معقدة ذات أبعاد عالمية أدت، ابتداء من القرن الثامن عشر إلى تحويل الغرب أولا ثم بقية الأقاليم.

تجاوز هودجسون المركزية الغربية لنظرية التحديث السائدة، حيث كانت الحداثة التي يخلط المؤرخون بينها وبين التغريب، بالنسبة لهودجسون عملية عالمية، وعلى الرغم من أن الغرب تصادف أنه كان أول مجتمع يتجاوز محددات الحضارة الزراعية، يصر هودجسون على أن هذا التطور لابد أن يوضع في إطار تاريخي عالمي، وبالنظر إلى التكافؤ العام بين المجتمعات المدينية في أفرو-أوراسيا وإلى نزوع الابتكارات الثقافية للتراكم، ويجادل هودجسون بأنه كان من الحتمي أن تحدث قطيعة راديكالية مع الشروط الزراعية في مكان ما على الكوكب عاجلا أو آجلا، وإن لم يحدث هذا في الغرب فإنه غالبا كان سيحدث إما في الصين أو العالم الإسلامي.

> كان الإسلام هو «الآخر» الأكثر غنى على نحو هائل والأكثر نجاحا الذي عرف الغرب نفسه في مقابله، ومن ثم عند النظر إلى تاريخ عالم الإسلام والغرب من المنظور التاريخي، فإن كليهما يصنعان دراسة خلابة عن نشأة مجتمعين مختلفين على نحو مميز، ولكن في ذات الوقت متشابهين، ولذلك فإن تاريخ الحضارة الإسلامية بالضرورة يدعو لإعادة دراسة التاريخ الأوروبي على نحو يضع تطورها في سياق تاريخي، وفي إطار هذه العلمية ينزع حالة الاستثناء عن الغرب.

يرى هودجسون الحداثة باعتبارها عملية عالمية منذ البداية، وفي حين أن الغرب كان في مركز هذه التغيرات، فإن وقوعها في مكان ما كان سيحول على نحو جذري شروط التقدم في كل مكان.

وفي إطار إعادة تقييمه للحداثة يصر هودجسون على أنه في الزمن التاريخي فإن انقطاعات التاريخ الغربي وليس استمراريته هي الأكثر إثارة للنظر، ويلاحظ

هدجسون بأن المنحنى الصاعد من اليونان القديم إلى عصر النهضة ثم الأزمنة الحديثة مجرد خدعة بصرية، وفي واقع الأمر كانت أوروبا في معظم تاريخها مجرد جزء خارجي غير مهم لآسيا.

فضلا عن ذلك؛ فإن عصر النهضة لم يكن تدشينا للحداثة، بل كان دوره أنه رفع أوروبا للمستوى الثقافي السائد في الحضارات الرئيسية الأخرى، وقد قام عصر النهضة بهذا الدور على نحو ما من خلال استيعاب التطورات الموجودة في الحضارات الآسيوية الأخرى.

إن قائمة المخترعات التي تطورت خارج أوروبا قبل أن يتم توطينها فيها تطول، وهي تضم الأسلحة النارية، والبوصلة، والدفة، والعلامة العشرية، والجامعة، وأخريات كثيرة.

في ضوء هذا كله؛ تبدوا التجربة الأوروبية أقل أصالة، ولا يعني هذا نفي وجود تطورات أوروبية أصيلة، ولكن في سياق ثلاث ألفيات من الحياة المدينية الزراعية في منطقة أفرو-أوراسيا كانت هناك نزعة لتحقيق تكافؤ بين المراكز الحضارية، ومن ثم كانت الاختراعات والابتكارات تنتقل من مكان لآخر.

subul.magazine

MALCOLM X ?

مالكوم إكس ومارتن لوثر كينج

لعبة الإصلاح والثورة

مالكوم إكس ومارتن لوثر كينج: لعبة الإصلاح والثورة

إسماعيل عرفة

باحث ومحرر صحفي
مؤلف 4 كتب تتناول ظواهر اجتماعية مثل الإلحاد، والهشاشة النفسية، والانتحار، والفردانية

تمثل حركة نقل الأفارقة من بلادهم إلى المستعمرات الإسبانية في أمريكا الشمالية، والتي بدأت في القرن السادس عشر، نقطة سوداء في سجل تاريخ الحضارة الغربية الأسود، الذي امتلئ باستعباد البشر وسرقة ثرواتهم وسلبهم من كل مقدراتهم وطاقاتهم.

فمنذ ذلك الوقت وقع الأفارقة ضحايا لحملات استعباد وعنصرية، واجهوا خلالها أقسى معاملة وحشية استلبت منهم أي اعتبار إنساني أو حقوقي، وعانوا من الجوع والقسوة والعنف والظروف غير الآدمية على مدار مئات السنين.

ولم يكن النظام الاستعماري والرأسمالي يسمح بأي خرق لتجارة العبيد، ولذا كانت أي إشارة لمقاومة هذا الاضطهاد تُقابل بواسطة البيض بالردع الفوري الذي يصل إلى القتل في كثير من الأحيان، ورغم ذلك استمرت انتفاضات السود ومقاومتهم للعنصرية منذ فجر الاستعمار الإسباني لأمريكا الشمالية.

بلغت ذروة نضال السود في حقبة الستينيات

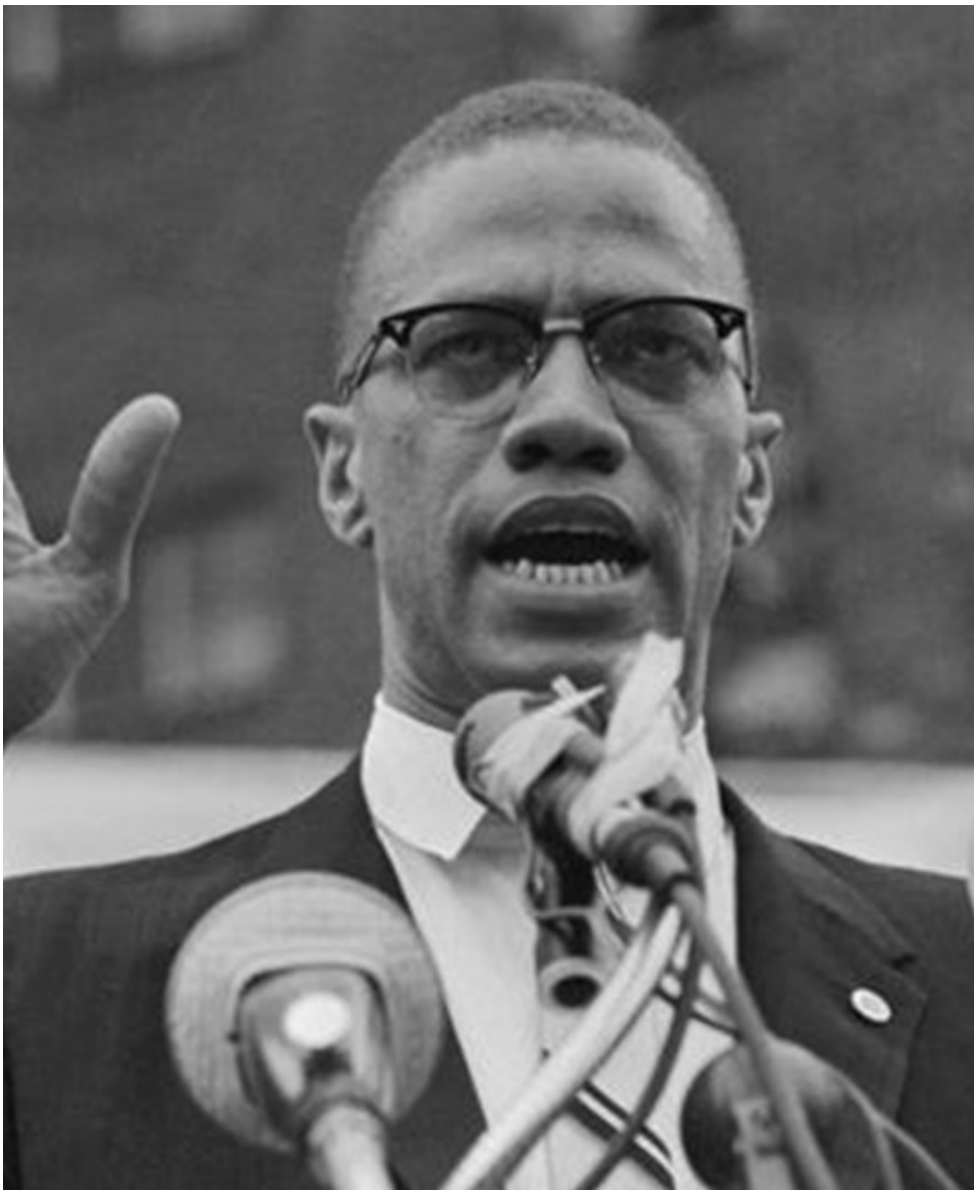

بلغت ذروة نضال السود في حقبة الستينيات من القرن الماضي، لكنه لم يكن منطويًا تحت راية واحدة، فقد تجلى في تلك الحقبة تياران مختلفان نشأ بينهما صراع ضمني وصريح، صراع بين المنادين بالمساواة وإلغاء القانون العنصري في الولايات المتحدة عبر الوسائل السلمية والدستورية، وبين المنادين بالثورة على النظام والدعوة لانفصال السود بشكل كامل عنه.

من القرن الماضي، لكنه لم يكن منطويًا تحت راية واحدة، فقد تجلى في تلك الحقبة تياران مختلفان نشأ بينهما صراع ضمني وصريح، صراع بين المنادين بالمساواة وإلغاء القانون العنصري في الولايات المتحدة عبر الوسائل السلمية والدستورية، وبين المنادين بالثورة على النظام والدعوة لانفصال السود بشكل كامل عنه.

كان التيار الأول هو التيار الإصلاحي المسمى بحركة الحقوق المدنية والذي تزعمه مارتن لوثر كينج، والثاني هو التيار الثوري والذي يتزعمه مالكوم إكس أو الحاج مالك شباز.

حاليًا يصف بعض المحللين التيارين بأنهما كانا مكملين لبعضهما البعض، أي أن اختلافهما كان اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، بينما يصفهما آخرون بأنهما كانا متضادين ومختلفين في الاستراتيجيات والأهداف والتكتيكات اختلافًا كليا، والأمر الذي يعنينا هنا هو: كيف نظر مالكوم إكس إلى هذا الخلاف بغض النظر عن رؤيتنا نحن له؟ وهل كان يرى نفسه جزءً من حركة الحقوق المدنية أم تيارا منفصلا عنه؟

تباين النشأة: طفل مدلل وآخر محروم

قد تنبع معتقدات مارتن لوثر كينج ومالكوم إكس من حقيقة أن طفولتهما كانتا مختلفتين إلى حد كبير، بالنظر إلى أن الأول عاش في منزل مريح للغاية وجاء من الطبقة المتوسطة بينما عانى الأخير من أسوأ ما في المنزل المحروم، كان الأول متعلما في حين كان الأخير يعلم نفسه بعدما تلقى قدرا ضئيلا من التعليم، جاء مارتن لوثر كينج في الواقع من عائلة كانت معروفة في منطقتهم في أتلانتا، في حين أن مالكوم إكس كان ابن الشوارع والحواري والعصابات. ربما يمكن للمرء أن يقول إن مارتن لوثر كينج تمتع بأفضل ما قدمته الحياة في ذلك الوقت وخاصة وجود الوالدين المحبين.ك، من ناحية أخرى؛ كان مالكوم إكس شخصا عانى في وقت مبكر من الغضب بسبب مشاهدة منزله يحترق يليه مقتل والده، ثم عانت والدته من انهيار أدى إلى تفكك عائلته.»، استنادا إلى طفولتهما وسنوات نشأتهما (القضايا العرقية والفرص التعليمية ومستوى الراحة المنزلية ووجود الآباء المحبين)، ربما يمكنك معرفة أين ترتكز معتقداتهما؟

عبر تطور الأفكار وتعاقب الأزمنة، التزم مارتن لوثر كينج بأخلاقيات طاعة الأنظمة القائمة، لذا تمثلت غاية تصوراته في اندماج السود مع البيض، وإلغاء قوانين الفصل العنصري، والتعايش بسلام في مجتمع واحد.

أما مالكوم إكس، ابن العصابات والمطاردات وتجربة السجن والإجرام، فكان مؤمنًا بالثورة والانفصال الكامل عن النظام، وبضرورة استقلال السود عن البيض، ويمكننا قراءة موقفه من التيار الإصلاحي عبر تقسيمه إلى مرحلتين أساسيتين: مرحلة تنظيم «أمة الإسلام» ومرحلة التصالح.

قد تنبع معتقدات مارتن لوثر كينج ومالكوم إكس من حقيقة أن طفولتهما كانتا مختلفتين إلى حد كبير، بالنظر إلى أن الأول عاش في منزل مريح وجاء من الطبقة المتوسطة بينما عانى الآخر من أسوأ ما في المنزل المحروم، كان الأول متعلما في حين كان الآخر يعلم نفسه بعدما تلقى قدرا ضئيلا من التعليم، جاء مارتن لوثر كينج في الواقع من عائلة كانت معروفة في منطقتهم في أتلانتا، في حين أن مالكوم إكس كان ابن الشوارع والحواري والعصابات.

مرحلة أمة الإسلام: اتهامات بالعمالة للبيض

في بداية نضاله الحقوقي انضم مالكوم إكس لتنظيم «أمة الإسلام» الذي تزعمه **إليجاه محمد**، كان هذا التنظيم يؤمن بمعتقدات شاذة مثل نبوة إليجاه رغم أنه كان يدعي الإسلام في المجمل، وانطلق نشاط إكس وخطاباته الثورية من هناك.

كان مالكوم إكس في هذه الفترة يعادي مارتن لوثر كينج ومن يسير على خطاه من الإصلاحيين، وبلغ انتقاده له إلى حد أنه كان يصفه بالخيانة وأحيانًا بالعمالة، قائلًا بأن البيض لديهم مصلحة في تصدير كينج من أجل احتواء غضب السود.

ومع أن مالكوم إكس قد أسهم في تحسين وضع حركة الحقوق المدنية، إلا أنه كان شديد الانتقاد لها، حيث وصف لوثر بالخائن والعميل لدى البيض، بل اتهمه بقتل قضية السود حيث قال في إحدى مقابلاته التليفزيونية: «يدفع الرجل الأبيض للراهب مارتن لوثر كينج ويقدم له الإعانات، ليتمكن لوثر كينج من تعليم السود بأن يكونوا ضعفاء». وقال في خطبة عامة أخرى: «عندما يضع قادة حركة الحقوق برنامجًا، فإنك لن تجد أي تحرك، والوقت الوحيد الذي

تراهم فيه هو الوقت الذي ينفجر فيه الناس، في ذلك الوقت يقتحم القادة ويوجهون للسيطرة على الأمور، أنتم لا تستطيعون أن تذكروا لي قائدًا واحدًا تسبب بانفجار شعبي، إن القادة يأتون لاحتواء الانفجار، هذا هو دورهم، إنهم موجودون كي يكبحوكم ويكبحوني ويكبحوا الكفاح ويبقوه في مسار محدد فلا يخرج عن السيطرة».

وفي المقابل كان رواد التيار الإصلاحي يسخرون من مالكوم إكس، قائلين بأنه يمثل ظاهرة صوتية فقط لا غير، ويمتلأ خطابه بالمشاعر الحماسية دون تقديم خطوات ملموسة لتحرير السود من القوانين العنصرية، فهذا الإصلاحي جاكي وربنسون يسخر من إكس قائلًا: «إنه أصبح مناضلًا في شوارع وحواري هارلم وقتما كان النضال غير خطر».

وفي نفس السياق كان **الإصلاحي جيمس فارمر** يقول مهاجمًا مالكوم: «إنه ظاهرة صوتية ولا يفعل شيئًا»، أما كينج نفسه فقد قال عن إكس: «إن كلامه يجلب البؤس على السود»، وحتى بعد موت إكس استمر كينج في الهجوم عليه قائلًا: «لقد أدى دورًا كبيرًا بالإشارة إلى المشكلة وتسليط الضوء عليها، لكن للأسف كانت مشكلته الكبرى هي عدم قدرته على تقديم حل واضح».

مرحلة التصالح:
الأسود الجيد والأسود السيئ

بعد رحلة الحج التي غيرت كثيرًا من أفكار مالكوم إكس، ورحيله عن تنظيم أمة الإسلام عام 1964م، انفتحت الآفاق أمامه وصار أكثر مرونة في الجانب النضالي وابتعد عن بعض الآراء الراديكالية التي تنص على انفصال السود وتفوقهم العرقي على «الشياطين» البيض كما كان يسميهم، كما رضى أن يلعب دورًا على الهامش، وقبل بفكرة أن التيارين الإصلاحي والثوري تياران مكملان لبعضهما البعض وليسا متضادين.

آمن إكس بضرورة تكامل الأدوار بين التيار الإصلاحي والتيار الثوري، ورضي بأن يلعب دور كبش الفداء لحركة الحقوق المدنية، حيث طالب الحكومة الأمريكية بالانفصال الكامل للسود عن البيض، وإلزام الحكومة بتوفير الأرض المستقلة والمقومات اللازمة لقيام ذلك الانفصال، وهو مطلب أصعب بكثير من مطلب التيار الإصلاحي الذي رفع شعار الاندماج مع البيض في نفس المجتمع.

تطورت استراتيجية مالكوم إذن من معاداة لوثر إلى التقارب معه، وهو ما وضحه في اللقاء الوحيد الذي جمعهما سويًا عندما شارك إكس في أحد مؤتمرات كينج الصحفية، وطلب منه الصحفيون التعليق على قانون الحقوق المدنية، فقال إكس: «إذا رفض الرجل الأبيض هذا القانون فإني موجود هنا لأذكره بالبديل للدكتور كينج»، وهو ما علق عليه كينج قائلًا: «إذا لم يُسنّ القانون فإن أمتنا ستدخل في ليل مظلم من الاضطراب الاجتماعي».

وقد تأكدت تلك الاستراتيجية عند إكس في حديثة لزوجة كينج قائلًا بأنه يحاول أن يساعد كينج بتقديم بديل يُسهّل على البيض قبول عرض كينج، وقد قال في خطابه في ذلك اليوم: «أنا لا أدافع عن العنف، ولكن إذا داس الرجل الأبيض على أصابع قدمي فسوف أدوس على أصابع قدمه، يجب أن يعدّ البيض أنفسهم محظوظين لكون مارتن لوثر كينج هو الذي يجمع السود حوله، لأن هناك قوات أخرى تنتظر أن يفشل لتتولاهم».

وفي موقف آخر يرويه أليكس هيلي، أن مالكوم إكس قال له: «قل لأخيك -الذي انتخب حديثًا عضوًا في مجلس الشيوخ بكونجرس الولاية- ألا ينسانا، قل له إن عليه وعلى أمثاله من السود المعتدلين الذين وصلوا أن يتذكروا دائمًا أننا نحن المتطرفين من مهدوا لهم الطريق».

وهكذا قدم مالكوم إكس نفسه كبديل غير مرغوب للحكومة الأمريكية، يضغط عليها من خلال انتفاضته وثوريته من أجل تمرير مطالب المنظمات السلمية الإصلاحية لحركة الحقوق المدنية، ولو جاء ذلك على حساب شعبيته ومكاسبه الخاصة.

subul.magazine

سياسات تقنين الشريعة

النُّخب المحليَّة، والسُّلطة الاستعماريَّة، وتشكُّل الدولة المُسلِمة

عِزَّت حسين طفه
ترجمة

الشبكة العربية للأبحاث والنشر
ARAB NETWORK FOR RESEARCH AND PUBLISHING

كتاب

«سياسات تقنين الشريعة»
عن السلطة مراجعة الاستعمارية
وتشكل الدولة المسلمة

كتاب «سياسات تقنين الشريعة» عن السلطة مراجعة الاستعمارية وتشكل الدولة المسلمة

إسلام هلال

محام وباحث دكتوراه
متخصص في الشريعة
والقانون، مهتم بقضايا تقنين
أحكام الشريعة الإسلامية وآثاره
الاجتماعية والسياسية

يحمل التاريخ العديد من الإجابات على أسئلة الواقع، بل ويقدم دفعة استشرافية للمستقبل في بعض الأحيان لمن أحسن قراءته، فالتاريخ يحمل أنماطًا متشابهة يمكن من خلال تتبعها واستقصائها حل الكثير من الإشكاليات المعاصرة والمستقبلية، فالأمر يشبه البدء بدراسة الجذور من أجل الوصول إلى الثمار.

تعتبر قضية تقنين الشريعة الإسلامية من القضايا الشائكة في الفكر الإسلامي المعاصر، ويقصد بالتقنين تحويل أحكام الشريعة إلى مواد قانونية قابلة للتطبيق وفق الأنظمة القانونية الحديثة، وهي قضية شهدت -ولا تزال تشهد- الكثير من النقاش سواء حول المبدأ أو الآلية أو النتيجة، فثمة نقاش حول مدى مشروعية تقنين أحكام الشريعة، ونقاشات حول استمداد الأحكام المقننة ومدى الالتزام المذهبي، ونقاشات حول آليات التطبيق وأدواته ومدى توافقها مع الأنظمة القانونية المعاصرة.

لقد حصلت قضية تقنين أحكام الشريعة

على الكثير من الجهود العلمية بداية من الأعمال العظيمة في فترة التنظيمات العثمانية وما تلاها من أعمال تصدت إما لتقنين أحكام الشريعة أو لمناقشة القضايا الشرعية والفكرية المحيطة بهذه المسألة، وفي هذا الصدد جاء الكتاب الذي بين أيدينا ليأخذنا في رحلة تاريخية عابرة للقارات في محاولة لإعادة ترتيب قطع أحجية تقنين الشريعة الإسلامية بطريقة مختلفة، والإطلال عليها من زاوية جديدة لفهم إشكاليات الحاضر والمستقبل.

من المهم أن أشير إلى أن الكتاب الذي بين أيدينا قد أرهق كاتب هذه السطور في قراءته وفي عرضه، وذلك في محاولة تتبع الأفكار المركزية في أطروحة المؤلف، وفي محاولة إعادة تركيب الأفكار الفرعية في أنماط متعددة سعيًا للوصول إلى أعمق نقطة ممكنة لفهم الطرح ومنهجياته والتماس جوانب تميزه وقصوره، ثم إعادة صياغة هذه النتائج في صورة مختصرة تتناسب مع هذه المقالة، وهو أمر عسير!

> تعتبر قضية تقنين الشريعة الإسلامية من القضايا الشائكة في الفكر الإسلامي المعاصر، ويقصد بالتقنين تحويل أحكام الشريعة إلى مواد قانونية قابلة للتطبيق وفق الأنظمة القانونية الحديثة، وهي قضية شهدت -ولا تزال تشهد- الكثير من النقاش سواء حول المبدأ أو الآلية أو النتيجة، فثمة نقاش حول مدى مشروعية تقنين أحكام الشريعة، ونقاشات حول استمداد الأحكام المقننة ومدى الالتزام المذهبي، ونقاشات حول آليات التطبيق وأدواته ومدى توافقها مع الأنظمة القانونية المعاصرة.

الوصف البيبلوغرافي والمؤلف والمادة العلمية

جاءت النسخة العربية من كتاب (سياسات تقنين الشريعة: النخب المحلية، والسلطة الاستعمارية، وتشكل الدولة المسلمة) في 432 صفحة من القطع المتوسط، وهي ترجمة للنسخة الأصلية الصادرة باللغة الإنجليزية، وقام بالترجمة باسل وطفة، وصدرت الطبعة الأولى للنسخة العربية عن الشبكة العربية للأبحاث والنشر عام 2019، وهو إصدار مشترك مع مدارات للأبحاث والنشر.

صدر هذا الكتاب للمؤلفة عِزَّة حسين أستاذة السياسة والقانون في جامعة كامبردج، وهي حاصلة على دكتوراه من جامعة واشنطن، وماجستير من جامعة جورج تاون، وماجستير في الآداب والعلوم من جامعة هارفارد.

كما أنها عضو في هيئة تحرير عدد من الإصدارات العلمية المرموقة، وزميلة أبحاث مشاركة في المركز المشترك للتاريخ والاقتصاد، وتشرف على الطلاب والباحثين في السياسة المقارنة، والدين والسياسة، والقانون والمجتمع، والسياسة والتاريخ الاستعماري وما بعد الاستعمار.

ضم الكتاب مادة علمية دسمة على الصعيد الفكري، حيث أنه يطرح زوايا جديدة للإطلال على قضايا قديمة، وهو ما يستفز ذهن القارئ ويحفزه للوصول إلى الصورة النهائية التي تريد المؤلفة طرحها من خلال هذا الكتاب.

إطلالة على الأفكار والمضامين

ينقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام تحوي 7 فصول، تنوعت موضوعاتها إلى درجة يمكن قراءة كل فصل بصورة مستقلة، وفي نفس الوقت تترابط الفصول لتفتح آفاقًا للقارئ ومزيدًا من التساؤلات التي لا مفر من بزوغها في ذهن القارئ مع ختام الكتاب.

جاء القسم الأول تحت عنوان (سياقات) واحتوى على فصلين، الأول بعنوان (الجذور التاريخية للأحجية المعاصرة) حيث انطلقت المؤلفة من مكان غير معهود، فمن خلال اطلاعها على الأرشيف الوطني الماليزي استطاعت أن تعتبره منطلقًا تاريخيا لبحث مسألة تقنين أحكام الشريعة الإسلامية، وأكدت على ارتباط حركة التقنين بالحركة الاستعمارية (الكولونيالية) التي أثرت بعمق على النخب المحلية في الدول المستعمرة، خصوصًا في نظرتها للشريعة الإسلامية والقانون ومدى العلاقة بينهما.

جاء الفصل الثاني بعنوان (خارطة التحول) واستعرضت فيه المؤلفة التحول الذي طرأ على تطبيق أحكام الشريعة وعلاقة ذلك بالاستعمار الكولونيالي للأقاليم الثلاثة، وختمت الفصل بجدول زمني مقارن يتتبع التحولات القانونية في الأقاليم الثلاث في الفترة من 1765م إلى 1948م. (معاهدات ومحاكمات وتمثيلات) هو عنوان القسم الثاني الذي يحوي الفصول من الثالث وحتى الخامس،

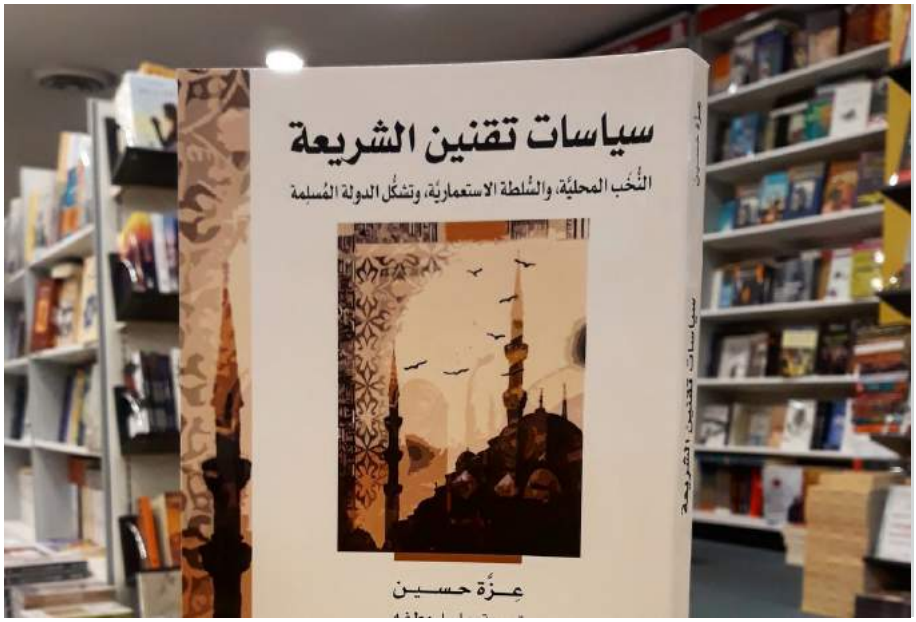

وهـذا القسـم يمكـن اعتبـاره ذروة الكتـاب، حيـث أكـدت المؤلفـة في بدايـة كتابهـا شـمول البحـث لثـلاث نطاقـات جغرافيـة خضعـت للاحتـلال البريطانـي، وهـي ماليزيـا ومصـر والهنـد، وقـد بينـت بالتفصيـل نقـاط التشـابه والاختـلاف في التجربـة الاسـتعمارية للأقاليـم الثلاثـة حيـث صنفـت أوجـه الاختـلاف في ثـلاث مجموعـات هـي: التسلسـل الزمنـي لمسـيرة الاسـتعمار الكولونيالي، والاختـلاف في الإرث المؤسسـي، والاختـلاف في الثقافـة، فبينما كانـت مصـر على تمـاس مباشـر مـع الثقافـة الإسـلامية باعتبارهـا المركـز، كانـت كل مـن ماليزيـا والهنـد تخضعـان لنظـم ثقافيـة مختلفـة، كل هـذه العوامـل كان لهـا بالـغ الأثـر في تشـكيل تجربـة تحويـل أحـكام الشـريعة الإسـلامية إلـى قوانيـن في هـذه الأقاليـم، وكرسـت هـذا الفصـل لبيـان هـذه النقـاط بالتفصيـل.

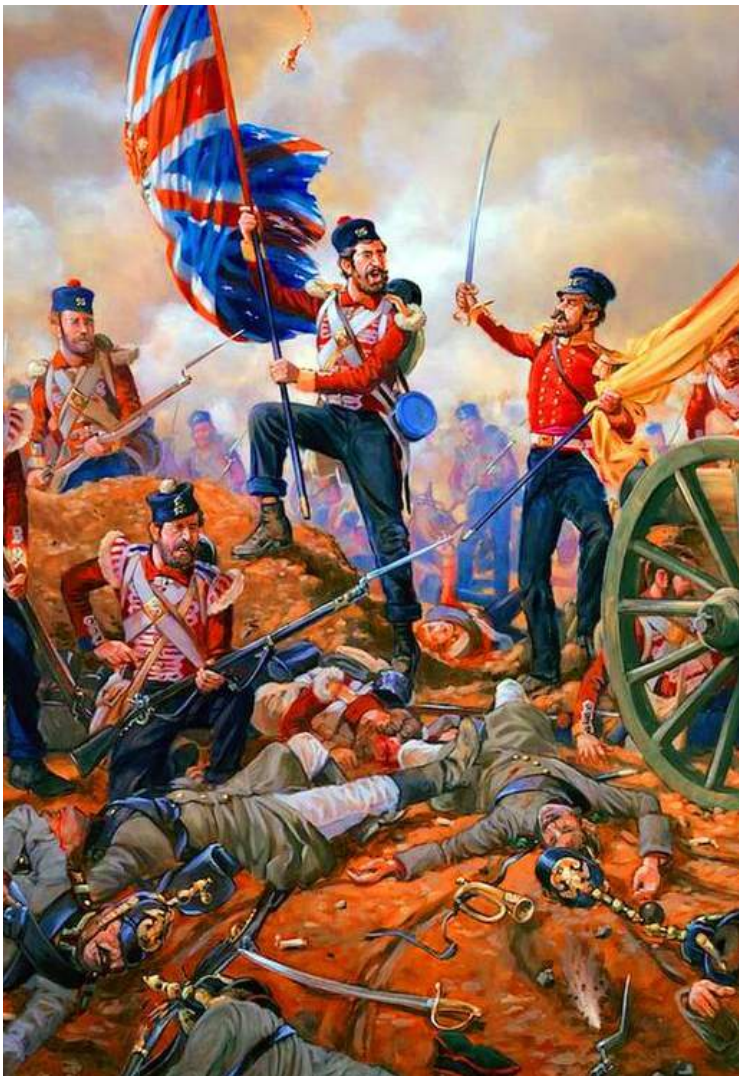

في الفصـل الثالـث تسـعى للإجابـة عـن سـؤال: **مـن هـو المعنـيّ بالقانـون الإسـلامي؟** فهـي تناقـش مسـألة الولايـة القضائيـة، هـل هـو المسـتعمر باعتبـاره القيـادة السياسـية بحكـم القـوة، أم النخـب المحليـة باعتبارهـا ممثلـة الشـعب، أم أن هنـاك صـورة مـن صـور الشـراكة ينبغـي أن تنظـم هـذه المسـألة؟

يتعـرض الفصـل الرابـع لعـدة محاكمـات جـرت في الهنـد وماليزيـا ومصـر في القرنيـن الثامـن عشـر والتاسـع عشـر، بعضهـا جـرى بموجـب الشـريعة الإسـلامية وبعضهـا بشـأن الشـريعة الإسـلامية، وفيـه تسـعى للإجابـة على عـدة أسـئلة منهـا: كيـف طبـق الاسـتعمار القانـون الإسـلامي؟ وكيـف تـم تفسـير هـذا القانـون؟ ومـا الجهـة التـي تولـت تطبيقـه؟ ومـا هـي الحقـول التـي «سُـمح» بتطبيقـه فيهـا؟ ومـا هـي الحقـول التـي لـم يشـملها التطبيـق؟

جـاء الفصـل الخامـس فيمـا يزيـد على 84 صفحـة، وهـو يعتبـر أكبـر فصـول الكتـاب، ويـدرس العلاقـة بيـن القانـون الإسـلامي والهويـة التـي تصنعهـا السـلطة السياسـية وتعيـد إنتاجهـا كل فتـرة لتحقيـق أهدافهـا، وكيـف اسـتعمل هـؤلاء الحـكام القانـون الإسـلامي لترسـيخ شـرعيتهم في مواجهـة منافسـيهم المحليـين أو المحتليـن.

يأتي القسم الثالث تحت عنوان: (إشكالية القانون الإسلامي)، وفي الفصل السادس منه تقدم المؤلفة طرحًا نظريا حول إشكالية العلمنة والدين في السياق الحديث من خلال أعمال وائل حلاق وطارق البشري وغيرهم من المفكرين المعبرين عن مختلف وجهات النظر في هذه القضية، وذلك تحت عنوان (السياسات الكولونيالية للقانون الإسلامي). أما الفصل السابع والأخير: (السياسات المعاصرة للقانون الإسلامي) فهو تطبيق وبلورة للإشكالية المركزية التي ركزت عليها في طرحها، وهي: قانون إسلامي جرى تهميشه خلال الحقبة الاستعمارية، وفي الوقت نفسه؛ إسلام وقانون إسلامي أصبحا مكونين رئيسين لسلطة الدولة وسلطة الفاعلين الاجتماعيين على حد سواء، وفي هذا الإطار عرضت عددًا من القضايا الشائكة التي تناولها القضاء الماليزي، وكذلك تناولت مسألة تطبيق الشريعة الإسلامية عبر التحكيم خارج إطار المحاكم.

قدمت المؤلفة تأريخًا لمسألة الفصل بين ما هو عام وبين ما هو خاص، و أيضا بين ما هو ديني وما هو غير ديني فيما يخص تقنين الشريعة الإسلامية، وكيف أن هذا البلاء جاء مع الاستعمار الذي سعى لتحويل الإسلام إلى فكرة دينية مسالمة على النمط المسيحي، حيث تحكم العلاقات الخاصة وتبتعد تماما عن التدخل في القضايا العامة مثل السياسة ونظام الحكم، وهو ما يؤثر على وضع بلادنا حتى الآن.

المنهجية والقيمة العلمية

يقدم الكتاب طرحًا علميًا متماسكًا لقضية شائكة هي تقنين أحكام الشريعة الإسلامية وعلاقته بالسلطة السياسية، سواء المحلية أو الاستعمارية، وفي سبيل ذلك؛ استخدمت المؤلفة منهجيات البحث العلمي سواء في قراءتها العامة للأوضاع في الأقاليم الثلاثة محل البحث (ماليزيا ومصر والهند)، أو في التطبيقات التفصيلية التي تناولتها في مختلف الحقب الزمنية والنطاقات الجغرافية.

ارتكزت أطروحة المؤلفة على اعتبار القانون الإسلامي منتجًا من منتجات الشريعة الإسلامية، كان لظهوره أبعاد تاريخية وحيثيات سياسية ينبغي أخذها في الحسبان عند تصور هذه المسألة، حيث إنه ظهر في ظرف تاريخي محدد هو العصر الحديث بما حملته رياحه من احتلال للبلاد المسلمة تحت شعار (الاستعمار)، وكذلك التطور في مفاهيم الدولة، وانطلاق حركات الرأسمالية والعلمانية، بل وتحولها إلى أساس نظري قامت عليه أغلب الدول المعاصرة. لهذا ينبغي التأكيد على أن القانون الإسلامي -كما تؤكد المؤلفة ويؤيدها كاتب السطور- ليس هو ذات الشريعة الإسلامية، بل هو منتج آخر ساهمت في تشكله اجتماع عدد من العوامل

منها أحكام الشريعة الإسلامية المستخدمة لترسيخ سلطة الدولة الحديثة، وسياسات الاستعمار، والضغوط الشعبية وغيرها من العوامل التي أنتجت هذا المنتج «المختلف» والمتميز عن الشريعة الإسلامية في صورتها المعهودة تاريخيًا.

انطلقت المؤلفة في تناول طرحها من مكان غير معهود تمامًا، حيث عندما نتحدث عن تقنين الشريعة الإسلامية يتبادر إلى الذهن تركيا باعتبارها مركز الدولة العثمانية لقرون طويلة، وهي منطلق حركة التقنين، أو مصر باعتبارها من الدول السابقة في حركة التقنين، ولكن طرح المؤلفة انطلق بشكل أساسي من ماليزيا، وهو ما يقدم للقارئ العربي تحديدًا وجبة علمية مميزة غير معتادة في هذا المجال، كما كان التنقل المستمر بين الأقاليم الثلاثة (ماليزيا والهند ومصر) يشحذ ذهن القارئ باستمرار ويبعد عنه الملل أو الشرود رغم كثافة المحتوى النظري في الكتاب.

خيرًا فعلت المؤلفة في تقسيم الفصول على التوالي وعدم البدء من جديد في كل قسم، حيث يمكن قراءة كل قسم وحده باعتباره وحدة متكاملة، كما يمكن إعادة ترتيب الفصول بصورة مختلفة، وهو أمر استمتع به كاتب هذه السطور في قراءته الرابعة والخامسة لهذا الكتاب.

تضمن الكتاب عددًا من الخرائط والجداول التي تقدم مساعدة للقارئ في تصور البيانات التي تقدمها المؤلفة، خصوصًا تلك التي تضمنت معلومات جغرافية أو مقارنات متعددة. يكشف هذا الطرح المتميز خطورة السياسات الاستعمارية البريطانية، وكيف أنها كانت تهدف إلى إحداث تغييرات عميقة في المجتمعات المحتلة، وكيف استخدمت مسألة تقنين الشريعة الإسلامية لترسيخ سلطتها، وكذلك خطورة تكريس هذه القضية لإكساب بعض النخب المحلية شرعية تساعدهم في ممارسة السلطة على المجتمع.

قدمت المؤلفة كذلك تأريخًا لمسألة الفصل بين ما هو عام وبين ما هو خاص، و أيضا بين ما هو ديني وما هو غير ديني فيما يخص تقنين الشريعة الإسلامية، وكيف أن هذا البلاء جاء مع الاستعمار الذي سعى لتحويل الإسلام إلى فكرة دينية مسالمة على النمط المسيحي، حيث تحكم العلاقات الخاصة وتبتعد تماما عن التدخل في القضايا العامة مثل السياسة ونظام الحكم، وهو ما يؤثر على وضع بلادنا حتى الآن، فنجد قوانين الأحوال الشخصية تستند إلى الشريعة بينما القوانين العامة بعيدة كل البعد عنها في مفارقة عجيبة يمكن فهم جذورها عبر تتبع الطرح الذي احتواه هذا الكتاب.

نظرة ناقدة

ينصح كاتب هذه السطور المهتمين بقضية تطبيق أحكام الشريعة بقراءة الكتاب قراءة عميقة، وإدراج البحث التاريخي الموسع باعتبارها أحد الأدوات المهمة في بحث هذه القضية، خصوصًا أن الإطار التاريخي المعتاد غالبًا هو الإطار المحلي في البحث، ونادرًا ما يهتم الباحث المصري بقراءة تاريخ تقنين الشريعة الإسلامية في الهند أو ماليزيا مثلًا، وهي نقطة التميز الكبرى في طرح الكتاب الذي بين أيدينا.

يعتبر هذا الكتاب من الكتب المتخصصة التي ينبغي قراءتها بعد تكوين خلفية نظرية كافية عن قضية تقنين الشريعة الإسلامية، حيث يقدم أطروحات عميقة من المهم أن يتم فهمها بصورة متكاملة، وفي حين يرسخ الفهم المتكامل للطرح التمسك بالشريعة الإسلامية فإن الفهم المجتزأ قد يقود إلى اعتقادات مغلوطة حول قضية تقنين الشريعة.

قدمت المؤلفة في عرضها إطلالة على ماليزيا ومصر والهند، ورغم أهمية تركيا باعتبارها دولة مركزية في العالم الإسلامي خاصة في العهد العثماني إلا إنها لم تدرجها في الدراسة، ولعل هذا يكون مفهومًا باعتبارها تبحث علاقة التقنين بالاستعمار والنخب المحلية، ولكن النظرة الفاحصة لمسألة التقنين ومرحلة التنظيمات العثمانية يمكن أن ترصد تأثير محاولات الاستعمار (الثقافي والفكري) على عمل اللجان التي عملت على إصدار هذه القوانين.

جاء عرض المؤلفة لماليزيا والهند أعمق بكثير من عرضها لمصر سواء في العرض التاريخي أو المعاصر، وهو ما يعتبر أحد أوجه القصور التي اعترت الأطروحة المتميزة في الكتاب.

ينصح كاتب هذه السطور المهتمين بقضية تطبيق أحكام الشريعة بقراءة الكتاب قراءة عميقة، وإدراج البحث التاريخي الموسع باعتبارها أحد الأدوات المهمة في بحث هذه القضية، خصوصًا أن الإطار التاريخي المعتاد غالبًا هو الإطار المحلي في البحث، ونادرًا ما يهتم الباحث المصري بقراءة تاريخ تقنين الشريعة الإسلامية في الهند أو ماليزيا مثلًا، وهي نقطة التميز الكبرى في طرح الكتاب الذي بين أيدينا.

صعيد مصر بين المخيلة التاريخية والواقع المعاصر

صعيد مصر بين المخيلة التاريخية والواقع المعاصر

يارا خليل

باحثة في التاريخ والفكر الإسلامي

تحاول تلك المقالة أن تشرح البنية السياسية والاقتصادية والاجتماعية لصعيد مصر عبر حقب مختلفة، كانت شاهدة على حضارة عظيمة تحمل بين طياتها عبق التاريخ وأصالة الماضي، وذلك من خلال رصد عوامل الصعود والانحدار، لنحاكم الصورة التي جرى اختزالها في بؤر من أشكال الرجعية التي رسمت صورة نمطية حصرت مجتمعا بأكمله في داخلها دون أن تقدم تفسيرا جليا لهذا الانحدار الذي جعل الصعيد يتصدر المحافظات الأكثر فقرا وطردا للسكان، مما يضعنا أمام علامة استفهام كبيرة: كيف تحول صعيد مصر من منطقة كانت سلة غلال إقليمية إلى وضع غاية في التردي؟

تجادل الدكتورة زينب أبو المجد أستاذة التاريخ في جامعة أوبرلين الأمريكية بأن لصعيد مصر رواية مختلفة مع كل الإمبراطوريات التي تعاقبت على حكم البلاد، بداية من العثمانيين وصولا إلى الاحتلال البريطاني وهو ما سنعرضه بالتفصيل هنا[1].

1 زينب أبو المجد، إمبراطوريات متخيلة: تاريخ الثورة في صعيد مصر

صعيد مصر والدولة العثمانية

لشرح العلاقة بين صعيد مصر والدولة العثمانية يجب في البداية إلقاء الضوء على العلاقة بين الدولة العثمانية والولايات التابعة لها، يحلل الدكتور خالد فهمى في كتاب «كل رجال الباشا» علاقة الدولة العثمانية بالولايات التابعة لها خاصة في القرن الثامن عشر، حيث منيت الدولة العثمانية بهزائم ثقيلة على أيدى الأوروبيين أدت إلى اجتزاء مساحات شاسعة من أراضيها، وبناءً على ذلك كانت محاولات الإصلاح في الدولة العثمانية تعتمد على النخب المحلية داخل كل قطر، فكانت سياسات الباب العالي قابلة للتعديل على أرض الواقع من خلال تلك النخب، وبذلك لا يمكن تصوير الدولة العثمانية كإمبراطورية مركزية على غرار الإمبراطورية الرومانية وإنما كومنولث commonwealth يشارك في الاستمتاع بمزايا جميع أعضائه ولو بدرجات متفاوتة[1] .

بالنسبة لولاية مصر، ولد نظام أشبه بالدولتين بعد دخول سليم الأول، غير أن بذور هذا النظام كانت موجودة من فترة طويلة عندما سيطرت نخبة من المماليك على شمال مصر، بينما نجحت قبيلة الهوارة في فرض سيطرتها على صعيد مصر إداريا، وعندما دخل العثمانيون أقروا بالأمر

> نجحت قبيلة الهوارة في فرض سيطرتها على صعيد مصر إداريا، وعندما دخل العثمانيون أقروا بالأمر القائم فلم يكن للولاة على الصعيد أي سلطة فعلية عدا جمع الضرائب، حيث نظمت «الهوارة» الزراعة والري وجمع الضرائب وأنشطة التجارة واحتفظت بحق «الالتزام» لنفسها على الصعيد كله بل وجعلته بالوراثة، هذا الأمر الذى لم يتحقق لأي من الملتزمين في الشمال، كما أمدت إسطنبول بالمؤن والغلال، وبهذا تحولت من نخبة اقتصادية إلى نخبة سياسية.

1 - خالد فهمى، كل رجال الباشا، الطبعة الأولى، دار الشروق

القائم فلم يكن للولاة على الصعيد أي سلطة فعلية عدا جمع الضرائب، حيث نظمت «الهوارة» الزراعة والري وجمع الضرائب وأنشطة التجارة واحتفظت بحق «الالتزام» لنفسها على الصعيد كله بل وجعلته بالوراثة، هذا الأمر الذى لم يتحقق لأي من الملتزمين في الشمال، كما أمدت إسطنبول بالمؤن والغلال، وبهذا تحولت من نخبة اقتصادية إلى نخبة سياسية، بأن عمدت لإنشاء عقد اجتماعي بين فئات المجتمع (الفلاحين- الأقباط -العربان)، وقدمت الحماية للفلاحين من أي اعتداء في مقابل الالتزام بدفع الضرائب، واستعانت بالأقباط في الشؤون الاقتصادية كما هو المعهود منذ بداية الفتح الإسلامي، وتصالحت مع العربان موفرة لهم بعض الأراضي حتى ينعم الجميع بالأمن والاستقرار، وأسست نظاما قضائيا اعتمدت فيه على المذهب الحنفي والمجالس العرفية لفض المنازعات.

كانت تلك الحالة إيذانا بميلاد دولة شيخ العرب همام والتي استمرت لأكثر من أربعين عاما، لكن الخطأ الذي ارتكبه شيخ العرب همام هو تحالفه مع على بك الكبير ضد السلطان العثماني، والذي استدعى من الأخير الانتباه لخطورة استقلال الصعيد على هذا النحو، فعقد تحالفا مع ابن عمه الشيخ إسماعيل الطامع في السلطة ليحارب في صفوف المماليك، ما ألحق الهزيمة بشيخ العرب ليموت كمدا على إثر ذلك، منهيا أول حضور حقيقي للصعيد كحالة شبه مستقلة سياسيا.

صعيد مصر والحملة الفرنسية

تعتبر الحملة الفرنسية أول تعدٍّ أوروبي على بلد شرقي إسلامي من بلاد الدولة العثمانية، وهنا يمكننا القول أن المسألة المصرية دخلت طورا جديدا من أطوار الضغط الأوروبي على الدولة العثمانية بعدما بدأت تلفظ أنفاسها الأخيرة، كانت أهداف تلك الحملة تعويض فرنسا ما فقدته من مستعمرات في أمريكا، وتوجيه ضربة لبريطانيا من خلال السيطرة على أفضل طرقها للهند.

بدأت الحملة بدخول الإسكندرية عام 1798، ثم بدأت بالزحف نحو القاهرة حيث معركة إمبابة والتي منى المماليك فيها بهزيمة كبيرة نظرا لبدائية أسلحتهم وأساليب قتالهم، وفكر نابليون في إرسال حملة إلى الصعيد منذ دخوله مصر حيث توافرت الموارد الزراعية لكنه تراجع نظرا للمقاومة المتصاعدة في الشمال، فقرر التفاوض مع مراد بك طالبا أن يدفع الصعيد الضرائب المقررة عليه للفرنسين لكن مراد بك رفض ذلك بعد معرفته أنباء تدمير الأسطول الفرنسي في الإسكندرية، فأرسل نابليون القائد ديزيه إلى الصعيد ودارت معارك كثيرة في قراه، ونظرا لتفوق الفرنسيين العسكري وقوة مدفعياتهم لم تختلف النتائج عن الشمال إلا أن الثورات المناهضة لأهالي الصعيد والقتال غير المنظم والهجوم المستمر على قوافل الإمدادات للفرنسيين جعلت من الصعيد كرة لهب مشتعلة لم يحصل منها الفرنسيون على ما كانوا يطمحون إليه من مشاريع وإمدادات واستقرار. وبهذا تحطمت صورة المستعمر المستنير على صخرة جهاد الأهالي ما اضطر الفرنسيون للاستعانة بمراد بك ليكون حاكما بالنيابة عنهم، ولم يمض عام على الاعتراف بمراد بك حاكما على الصعيد من قبل الفرنسيين حتى قضى نحبه بوباء الطاعون الذي ضرب الصعيد حاصدا آلاف الأرواح، لكن ما فعله أبناء الصعيد في مواجهة الحملة الفرنسية سيظل شاهدًا على أصالتهم في مواجهة أي مستعمر[1] .

> تحطمت صورة المستعمر المستنير على صخرة جهاد الأهالي ما اضطر الفرنسيون للاستعانة بمراد بك ليكون حاكما بالنيابة عنهم، ولم يمض عام على الاعتراف بمراد بك حاكما على الصعيد من قبل الفرنسيين حتى قضى نحبه بوباء الطاعون الذي ضرب الصعيد حاصدا آلاف الأرواح، لكن ما فعله أبناء الصعيد في مواجهة الحملة الفرنسية سيظل شاهدًا على أصالتهم في مواجهة أي مستعمر.

1- نبيل السيد الطوخي، صعيد مصر في عهد الحملة الفرنسية

محمد على والنظام السياسي الجديد

أنشأ محمد على نظاما سياسيا جديدا شكل الصعيد فيه نواة رئيسة للدولة، فلم تمض أشهر قليلة حتى احتكر التجارة، وأصدر مرسوما بزيادة الرقعة الزراعية لمحصول القطن بغية السيطرة الكاملة على هذه الصناعة، كما أصدر مرسوما بمنع تسجيل أي مغزل أو محلج خاص، وبذلك أنهى الباشا تحرير الاقتصاد واللامركزية العثمانية في الإدارة الاقتصادية، فترتب على ذلك أن عمت الحركات الاحتجاجية على فترات متقطعة مما استدعى قمع تلك الحركات والقضاء عليها، وتبع تلك السياسة العنيفة إرسال المستوطنين من الأتراك ورجال الدولة لإنشاء المزارع الشاسعة وإصدار عدة إصلاحات جوهرية خاصة بالأراضي الزراعية كالتالي:

1- الأبعدية: مزرعة خاصة غير مملوكة لأحد لكنها صالحة للزراعة تم اقتطاعها للأتراك وكبار موظفي الدولة ورجال الجيش من أجل زراعتها، وإعفاؤها كليا أو جزئيا من الضرائب، قبل أن تتحول لاحقا إلى ملكية

كاملـــة.

2- العهـــدة: المـزارع العموميـة التـي تملكهـا الدولـة أو تلـك المصـادرة مـن الفلاحيـن الهاربيـن مـن التجنيـد أو ممـن عجـزوا عـن دفـع الضرائـب، حيـث تـم إسـنادها للأغـوات بعـد سـداد مـا عليهـا مـن ديـون.

3- الجفلـــك: هـي مزرعـة الباشـا أو أحـد أفـراد أسـرته وكانـت مسـاحات كبيـرة تصـل لقـرى بأكملهـا.

تمثـل التأثيـر المباشـر لتلـك القـرارات في تغييـر التركيبـة السـكانية في صعيـد مصـر، الـذي لـم يكـن يعتمـد على الحضـور المكثـف للملتزميـن مـن الأتـراك مثـل الشـمال، مـا أدى لخلـق نخبـة اقتصاديـة جديـدة مـن الأتـراك أضحـى لديهـا أمـوالا ضخمـة بفعـل الأبعديـات والاسـتيلاء على أراضـي صغـار المـلاك مـن الفلاحيـن، الأمـر الـذي غيـر وجـه الحيـاة لاحقـا في صعيـد مصـر.، كمـا سـاهمت اللائحـة السـعدية التـي سـمحت بحـق الملكية الخاصـة في توسـيع طبقـة أصحـاب الملكيـات الكبيـرة لتضـم الأوروبييـن بجانـب الأتـراك وكبـار موظفـي الدولـة على حسـاب الفلاحيـن الذيـن تمتعـوا بحـق الإيجـار، ولكـن تـم تجريدهـم وتحويلهـم لمجـرد عمالـة موسـمية، كمـا تـم تقنيـن أوضـاع أصحـاب الأبعديـات وفتـح البـاب لبيـع المزيـد منهـا للأوروبييـن وكبـار الموظفيـن أو أي شـخص قـادر على دفـع ضرائبهـا المقـررة، وبهـذا اقتصـر مفهـوم النخبـة الاقتصاديـة على طبقـة غيـر محليـة بالأسـاس أو ممـن هـم قريبـون مـن مراكـز السـلطة الحاكمـة.

الاحتلال البريطاني لمصر والإدارة الاستعمارية

يطرح بندكت أندرسون منظر الدراسات ما بعد الكولونيالية فرضية مفادها؛ أنه في ظل الإدارة الاستعمارية في بلد ما تخلق الأساطير حول الهوية الوطنية التي تشكل منها الأمم الحديثة، تلاقت المصالح الرأسمالية للمستعمر مع نخبة محلية في مشروع بناء الدولة القومية في بقاع مختلفة من العالم الثالث، ليؤسس الطرفان هذه الدولة القومية من خلال عملية توحيد الأسواق المحلية القريبة والنامية، وليشكلا سويا ما أطلق عليه مجتمعات متخيلة، وبالفعل نجحت في خلق مجتمع بهويات وطنية محدودة، مثلا بعد احتلال بريطانيا لمصر على إثر أزمة الديون أصدر المندوب السامي اللورد كرومر جملة من الإصلاحات سواء التشريعية أو السياسية كان منها: تأسيس برلمان جديد والذي اعتمد عدة مشاريع لكنها في مجملها لم تكن تصب سوى في صالح محافظة القاهرة والوجه البحري، من ذلك مشروعات الري الحديث التي حرمت منها محافظات الصعيد، ما

أثـر على المسـاحة المزروعـة والمحاصيـل الزراعيـة مقارنـة بالدلتـا.

كمـا أن مشـروعات المرافـق العامـة كخطـوط السـكك الحديديـة تجاهلـت تمامـا الصعيـد، إذ كان التطويـر موجهـا بالأسـاس لخدمـة نقـل البضائـع في الدلتـا والإسـكندرية، حيـث جـري الاعتمـاد على السـكك الحديديـة لنقـل القطـن مـن مـزارع الدلتـا ومنهـا إلـى بريطانيـا، بينمـا لـم يعيـر الاحتـلال أي اهتمـام بالصعيـد سـوى في وقـت متأخـر، فلـم يكـن البرلمـان معبـرًا عـن حالـة الصعيـد نظـرًا لأن نخـب الشـمال مثلـت القـوى الأكبـر على عكـس نخـب الصعيـد التـي كان نفوذهـا الاقتصـادي أقـل بكثيـر.

ختامًـا؛ نسـتطيع القـول إن الحالـة التـي وصـل إليهـا الصعيـد لـم تكـن وليـدة حقبـة زمنيـة معينـة، بـل مـرت بمراحـل عديـدة تحـول الصعيـد خلالهـا مـن شـبه دولـة يمتلـك مقومـات اجتماعيـة واقتصاديـة وسياسـية إلـى وضـع مهمـش عمليـا فقـد أهـم مصـادره، وبالتالـي حـدث الهبـوط المتـدرج، فيمـا لـم تخلـق الحقـب اللاحقـة حالـة مختلفـة عـن السـابق، وظلـت مناطـق الصعيـد تعانـي مـن التهميـش والبطالـة وتدنـي مسـتوى التعليـم.

> نستطيع القول إن الحالة التي وصل إليها الصعيد لم تكن وليدة حقبة زمنية معينة، بل مرت بمراحل عديدة تحول الصعيد خلالها من شبه دولة يمتلك مقومات اجتماعية واقتصادية وسياسية إلى وضع مهمش عمليا فقد أهم مصادره، وبالتالي حدث الهبوط المتدرج، فيما لم تخلق الحقب اللاحقة حالة مختلفة عن السابق، وظلت مناطق الصعيد تعاني من التهميش والبطالة وتدني مستوى التعليم.

subul.magazine

المقاومـــة المسلحة وتيار الجهاد العالمي

المقاومة المسلحة وتيار الجهاد العالمي

أحمد الحمدان

طالب علوم سياسية

من الصعب الحديث عن التيار الجهادي بإظهار القواسم المشتركة بين جماعاته ومُنَظّريه كافة، وجرد المرحلة التاريخية لكلٍّ منهم، لذا سوف نختزل هذه التجربة عبر تنظيم الجهاد المصري، لأسباب منها:

أولا: كونه من أقدم الجماعات الجهادية، حيث يَحكي أيمن الظواهري زعيم تنظيم القاعدة أن وجود هذا التيار الجهادي بمصر كان قد بدأ عام 1965[1] ، وبعد ثلاث سنوات أي في 1968 أسست جماعة الجهاد أي بعد سنتين من إعدام سيد قطب سنة 1966.

ثانيا: هذه الجماعة هي التي وضعت المنهج الذي أثّر على كل المجموعات التي سوف تأتي من بعدهم، يقول أبو مصعب السوري: «تأتي أهمية الدور الفكري والمنهجي لتنظيم الجهاد المصري من أهمية مكتبته من كونها صارت أساسًا فكريا ومنهجيا لأغلبية التنظيمات والتجمعات ومعظم الأفراد في التيار الجهادي منذ مطلع التسعينيات وإلى اليوم، وصار عليها مدار ما كتب فيما بعد من الإنتاج الفكري والإعلامي لمختلف شرائح التيار الجهادي والأفغان العرب، وكذلك لِمَا عُرِفَ باسم -السلفية الجهادية- أو غيرها من المدارس الجهادية في العصر الحديث[2]» وبنحوه قال المُنَظّر يوسف العييري[3] .

ثالثا: كونها الجماعة التي بُنيَ عليها تنظيم القاعدة بعد بيعتهم لأسامة بن لادن، وهذا التنظيم أصبح الذراع العسكري الأبرز للتيار الجهادي.

رابعا: كونها حملت في تاريخها عدة تكتيكات مختلفة في أساليب المواجهة.

1 - فرسان تحت راية النبي (ص11).
2 - دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، (ص735) بتصرف يسير.
3 - دفاعاً عن المجاهدين: رسالة مفتوحة للشيخ سفر الحوالي (ص19).

الأفكار التأسيسية: السعي لتحكيم الشريعة

يُقدّر المؤرخ داخل التيار الجهادي أبو مصعب السوري عُمْرَ ولادة التيار الجهادي بمطلع الستينيات من القرن الماضي؛ أي بعد استقلال أغلب الدول عن الاستعمار المباشر، فكان ولادة طبيعية لمجريات الاستقلال الظاهر، حيث مهدت سياسات هذه الدول الطريق أمام نشوء هذا التيار، «فقد قامت حكومات الاستقلال كلها بلا استثناء في بلاد العالم العربي والإسلامي، على أسس عَلمانية تفصل الدين عن الدولة، وحكمت جميعها بغير ما أنزل لله، وتولى المارقون من أبنائها مهمة التشريع من دون لله، كما تولوا مهمة العمالة والولاء لأعداء الأمة وخدمة أهدافهم جهاراً[1]» ولغير ذلك مثل بطش هذه الأنظمة بالجماعات الإسلامية.

ويجب التنبيه أنّ التيار الجهادي يدور أو هو قائم على أساس الحكم الشرعي على نظام الحكم أو الحاكم معًا، فإن كانا كافرَيْن كان هذا بمثابة الشرعية للوجود، وهذا بخلاف التيارات الإسلامية الأخرى، لذلك مثلًا يربط أبو مصعب السوري بين شرعية نشوء الجماعات وبين كفر الحاكم فيقول: «طبعًا أنا أقول الذي لا يريد أن يُكفّر الحكام يضحك على نفسه، إذا كان ليس كافرًا معناها مسلم جاهل ظالم، وإذا كان كذا فهو حاكم شرعي، وبالتالي لا يجوز لنا أن نأخذ بيعات ونعمل جماعات، فنحن على أي أساس نعمل جماعات؟ معناها لازم تأتي المخابرات وتضرب عنق الآخر حسب الحديث[2]» .

ولا نستطيع القول أنّ التيار الجهادي هو تشكّل مستقل عن التيارات والجماعات التي سبقته، ولكن أحيانا يحدث نوع من الطفرات بعد أن يتشكّل فكرٌ معين لشخص ما في أحد الجماعات مع استحالة تطبيق هذه الفكرة داخل جماعته، فتكون هذه الفكرة هي الممهد لنشوء جماعة أو تيار جديد بدلًا من القديم.

يرى أبو مصعب هذا الأمر مثلًا لدى سيد قطب الذي أنبتت أفكاره منهج التفكير ونظريات الحركة لدى التيار الجهادي المعاصر، ولكن ماذا كان موقف جماعته -الإخوان المسلمين- من أفكاره؟ «وقفت القيادة التقليدية للإخوان في مصر من سيد وأفكاره موقفا رافضًا مناوئا[3]» .

1- دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، (ص686).
2 - مقومات التنظيم ودور المنهج (ص35).
3- دعوة المقاومة الإسلامية العالمية (ص688).

الممارسة السياسية: الانقلاب أم المواجهة؟

التوجه الذي حَمله قطب سوف يُلهم آخرين ليشكّلوا جماعة من أوائل الجماعات الجهادية وهي جماعة الجهاد المصرية، يذكر الظواهري أن سبب تأسيسه للجماعة هو «التأثر بمشروع هذا الرجل -سيد قطب- من خلال القراءات والكتابات البليغة والوضوح في تشريح الواقع[1]» . بالإضافة الى التأثر بأمور أخرى مثل جماعة أنصار السنة المحمدية التي كانت المدخل لقراءة الكتب السلفية، مثل كتب ابن تيمية التي أثّرت فتاويه فيهم تأثيرًا كبيرًا[2] ، ومثلّت أطروحات قطب والمودودي الخط الفكري العام، لكن البعض لاحظ أن هذه الأطروحات لا تعطي أجوبةً فقهية تفصيلية[3] ، فكان لابُدَّ من البحث في الأطروحات الشرعية لسدّ هذه الثغرة، وكما يقول أبو مصعب: «فَبَحَثَ الجهاديون في قضية الحكم والحكومات وما هو حكمهم؛ فلم يجد التيار الجهادي جوابًا لهذه المسائل إلا في فقه ابن تيمية، فأجابت على تساؤلات التيار الجهادي[4]» .

ولكن قبل مرحلة الحصول على الأجوبة من الكتب، كانت هناك مرحلة الحيرة والشك والسؤال، يَحكي مثلًا سيد إمام -وهو منظر جهادي مصري- أنّهم في

> التوجه الذي حَمله سيد قطب سوف يُلهم آخرين ليشكّلوا جماعة الجهاد المصرية، يذكر الظواهري أن سبب تأسيسه للجماعة هو التأثر بمشروع هذا الرجل من خلال القراءات والكتابات البليغة والوضوح في تشريح الواقع، بالإضافة إلى التأثر بجماعة أنصار السنة المحمدية التي كانت المدخل لقراءة الكتب السلفية، مثل كتب ابن تيمية التي أثّرت فتاويه فيهم تأثيرًا كبيرًا.

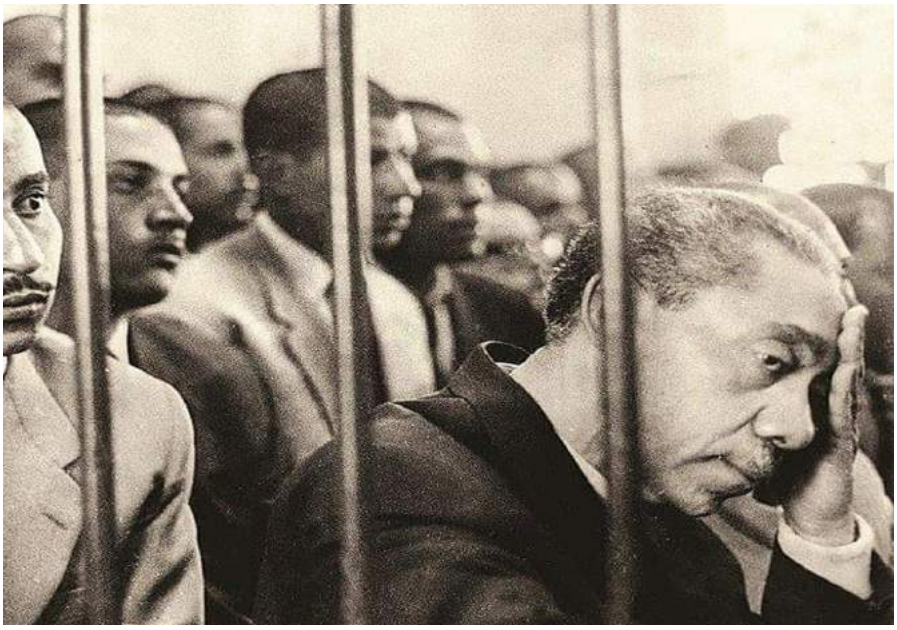

1 - د. هاني السباعي، قصة جماعة الجهاد (ص3).
2 - قصة جماعة الجهاد (ص4).
3 - انظر: أبو قتادة (سلسلة ألف كتاب قبل الممات: كتاب واقعنا المعاصر لمحمد قطب)، وسيد إمام (الجامع: ص699).
4 - الجهاد هو الحل (ص342).

بداية الأمر سألوا بعض المشايخ الذين رفضوا الإجابة على أسئلتهم[5]، فولّد هذا رَدّ فعلٍ تجاه المشايخ؛ وتم الاستعاضة عنهم بكتب السابقين والتعلم الذاتي[6]. والتأصيل الشرعي هو الممهّد لتطبيق هذه الأفكار على أرض الواقع، فلما رتقت الثغرات في الرؤية المنهجية، حان وقت التنفيذ، لذلك كانت فترة السبعينيات هي فترة التجنيد؛ وقد اختارت جماعة الجهاد المنطقة التي تريد أن تحدث الأثر من خلالها، وكانت عبر البحث عن أشخاص مجندين في الجيش، وذلك عبر إحداث انقلاب لا عبر مواجهة مباشرة، وكان سبب تركيزهم على الجيش هو أنه «أسهل ورقة للتغيير دون إهدار دماء[7]»، لكن انخراط بعضهم في التغيير عبر السلاح لم يمنع بعضهم الآخر في المشاركة العلنية والسيطرة على بعض الاتحادات الطلابية، فقد «كان التيار الجهادي السلفي يسيطر على اتحادات الطلاب في جامعات جنوب مصر، ويرفض محاولات الإخوان لاحتوائهم وإدخالهم في خط التهادن مع الحكومة[8]».

فشل هذه التجارب الانقلابية التي قامت بها جماعات جهادية مختلفة مثل تنظيم الفنية العسكرية، جعل البعض يُفكّر في تغيير استراتيجية المواجهة من اختراق الجيش إلى مواجهته عبر حروب العصابات، فقد عرض يحيى هاشم أحد مؤسسي تنظيم الجهاد هذه الفكرة على الظواهري فرفضها، وذكر «أنّ طبيعة البلد لا تصلح لهذا النوع من الحروب، ولكن الفكرة كانت تختمر في رأسه وفي رأس عدد من إخوانه[9]»، وبدأ هاشم في العمل على خطته التي انكشفت ليُحاصر مع رفاقه في منطقة جبلية بمحافظة المنيا ويقعوا ما بين قتيل ومعتقل.

> **فشل التجارب الانقلابية التي قامت بها جماعات جهادية مختلفة مثل تنظيم الفنية العسكرية، جعل البعض يُفكّر في تغيير استراتيجية المواجهة من اختراق الجيش إلى مواجهته عبر حروب العصابات، فقد عرض يحيى هاشم هذه الفكرة على الظواهري فرفضها، وذكر أنّ طبيعة البلد لا تصلح لهذا النوع من الحروب.**

5 – قناة أون إن، برنامج السادة المحترمون، لقاء مع السيد إمام، 27 مايو 2013 (د35).
6 – المصدر السابق، وقناة العربية، برنامج الحدث المصري، لقاء مع السيد إمام، 5 مارس 2013 (د3).
7 – قصة جماعة الجهاد (ص5).
8 – فرسان تحت راية النبي (ص18).
9– فرسان تحت راية النبي (ص21).

بعد فشل هذه التجربة تعززت فكرة الاستمرار في اختراق الجيش التي نجحت في اغتيال السادات بعد توحّد وتنسيق بين الجماعات الجهادية، ولكن اتّضح وجود ثغرة مركزية وهي؛ أنّ قتل الرئيس لا يعني السيطرة على الحكم، وأنه لم يكن هنالك مشروع حقيقي لِمَا يجب أن يحدث بعد السيطرة على الحكم[10] .

فبدأ اعتقال أفراد الجماعات الجهادية ومحاكمتهم إلى أن حصلَ شيء من الانفراج وحُكِمَ على أغلبهم أحكامًا مخففة، سافر أعضاء الجماعات إلى أفغانستان للملمة الجراح وإعادة ترتيب الأوراق، واقتضت المرحلة اللاحقة وبالأخص من جماعة الجهاد العمل على استراتيجية جديدة تتمثل في تجنيد الأفراد وإرسالهم إلى أفغانستان لتدريبهم ثم إرجاعهم إلى مصر على شكل خلايا سرية انتظارًا للحظة صفر، أو حسب ما أسماه الظواهري بمرحلة «الانتشار وتجنيد العناصر استعدادًا لمعركة التغيير[11]» ، ولك هذه الخطة فشلت عندما تم القبض على هذه الخلايا في قضية ما يُعرف بطلائع الفتح، فاعتقلت هذه الخلايا البالغ عددها حوالي 800 شخص دون طلقة واحدة.

لتضطر هنا حركة الجهاد للدخول في استراتيجية جديدة تتمثل في المواجهة المباشرة مع النظام بعد أن استقرت في السودان، فشنّت عدة هجمات كان أبرزها استهداف موكب حسن الألفي وزير الداخلية وقتها لكنه نجا، واستهداف موكب عاطف صدقي رئيس الوزراء وقتها بسيارة ملغومة، ونجا منها هو الآخر، ثم تفجير السفارة المصرية في باكستان عام 1995[12] .

وبعد عملية اغتيال حسني مبارك الفاشلة، ضغطت مصر على حكومة السودان لطرد الجماعات الجهادية التي عادت إلى أفغانستان مجددًا، وقد تشكّل لدى الظواهري قناعة جديدة بعد أن رأى استحالة نجاح قتال الأنظمة المدعومة غربيا، فتغيرت لديه الاستراتيجية بأن قتال العدو البعيد أولى من قتال العدو القريب، فسقوط العدو البعيد يعني تباعا سقوط العدو القريب، أو كما قال أبو مصعب السوري وهو يصف التحوّل لدى الظواهري، أنه بدأ «يقتنع بالاتجاه المتاح للجهاد والعمل في أفغانستان مع الشيخ أسامة بن لادن في حربه مع أمريكا لأسباب واقعية ولقناعات سياسية وميدانية بدأت تتشكّل عنده[13]» .

10 - أنظر: قناة الجزيرة، وثائقي: الجريمة السياسية، اغتيال السادات، الجزء الثاني (د28).
11 - فرسان تحت راية النبي (ص113).
12 - انظر: فرسان تحت راية النبي (ص 113-117).
13- دعوة المقاومة الإسلامية العالمية (ص736).

الانفجار من الداخل

العقبات التي واجهت التيار الجهادي:

التشظي والفرقة: قد يكون من المعقول عدم توحّد الجماعات القُطرية التي تُمثّل كل جماعة منها مشروعها الخاص في بلدها، ولكن من الغريب ألا تتحد الجماعات التي تسلك ذات الفعل في البلد الواحد، كما حصل مع جماعتي الجهاد والجماعة الإسلامية في مصر، وأحيانًا العقبات لا تكمن في عدم التوحّد مع الجماعات الأخرى بل في عدم القدرة على الحفاظ على وحدة الجماعة من التشظي، وهذا حدث مع جماعة الجهاد المصرية في عدة مناسبات.

ومع وقوع أحداث الحادي عشر من سبتمبر وحدوث التوحد القسري والطوعي في آن واحد للجماعات القطرية داخل تنظيم القاعدة، خرج تشظٍ من نوع آخر عبر خروج تنظيم الدولة (داعش)، وعرض نفسه بديلًا للقاعدة، وهذا ما أدى إلى تشظي الأفراد داخل التيار الجهادي الذين انقسموا إلى فريقين، بينما بقيت غالبية المُنظّرين في خط تنظيم القاعدة، لكن هذا التشظي حمل بعدا جديدا تمثّل في نشوء قتال وسفك دماء وتبادل تهم الخارجية والتكفير بينما كانت الخلافات السابقة تكتفي عادةً بالتجريح.

الطرح النخبوي والانعزال عن الأمّة: فقد رأى أسامة بن لادن أنّ تفاعل الأُمّة هو بمثابة الماء للحركة

الجهادية التي مثلها بالسمكة، فقال: «فالشعب للحركة كالماء للسمكة فأي حركة تفقد التعاطف الشعبي تضعف قوة الدفع لديها باستمرار إلى أن تتلاشى الحركة[1]» .

كانت هنالك عدة طرق لوجود هذا الانعزال -حسب تصور بعض القيادات الجهادية- من بينهم القيادي الأمريكي آدم يحيى غدن الذي رأى أنّ التعصّب لمسمى السلفية الجهادية ولهجتهم الحادة ضد المخالف هي من الأمور التي تبعد عموم المسلمين عن المجاهدين، وأن «السلفية ما هي إلا تيار واحد من تيارات المسلمين، والسلفية الجهادية تيار صغير داخل تيار صغير[2]» ، ولم يختلف رأي القيادي الآخر في القاعدة يونس الموريتاني في نظرته لمصطلح السلفية الجهادية، بل له كلام أكثر حدةً من سابقه[3] ، وهذا ما دفع قياديا ثالثا هو محمد بن محمود البَحْطِيطي لكتابة رسالة عنونها بـ (تأملات في مصطلح السلفية الجهادية) ذكر في خلاصتها: أن هذا المصطلح قد أضاف سببا جديدا للفرقة بين الأُمّة بسبب تعصب بعض من ينتمي إلى هذا الاسم، بينما الواجب على المجاهدين أن يتقربوا من أُمّتهم بإزالة مختلف العوائق[4] .

التكفير: وهو العائق الذي يَحولُ بين وظيفة حركة الجهاد -وهي

1 - مجموع رسائل وتوجيهات الشيخ أسامة بن لادن (ص812).
2 - وثائق أبوت آباد، الدفعة الأولى، وثيقة رقم: 2012-SOCOM-0000004.
3 - وثائق أبوت آباد، الدفعة الأولى، وثيقة رقم: 2012-SOCOM-0000019.
4 - انظر: تأملات في مصطلح السلفية الجهادية (ص6).

تثوير كل الأُمّة- وبين عموم الأُمّة، حيث يرى أبو مصعب أن حركة الغلو في التكفير هي رديف المخابرات في ضرب التيار الجهادي، وأنها «السبب الأساسي للحيلولة بيننا وبين المسلمين[5]» ، ويرى أبو قتادة أن هنالك عدم وضوح في الرؤية لعموم الناس بشأن تلبسّ الجماعات الجهادية بمنهج الغلو، وأن انشقاق (داعش) وإظهار منهجها كان عاملا حاسما ليميز الناس بين المناهج، وبذلك يقول: «وإني لأحمد الله تعالى من جانب آخر أن صار الأمر إلى هذا الحال، حتى يظهر الحق وتتمايز الصفوف، وليُعْلَمَ الفرق بين طوائف الجهاد وجماعات الغلو والبدعة[6]» .

الاختراقات الأمنية: عاش تنظيم القاعدة في اليمن لحظات صعبة بعد أن تم اغتيال قياداته تباعا من خلال جواسيس تم تجنيدهم بطرق مختلفة وإرسالهم إلى اليمن، وقد مَثّل البُعد الجديد في هذه القضية كون بعض هؤلاء المجندين أصحاب سابقة جهادية، وقد تم القبض، عليهم وعرض طرق تجنيدهم، والطريقة التي تسببوا بها بقتل القيادات عبر سلسلة إصدارات حملت عنوان (هدم الجاسوسية).

لقد سلك تنظيم القاعدة الممثل العسكري للتيار الجهادي مَسلكًا يُعدُّ أكثر انتفاحًا تجاه المخالفين له داخل التيار الإسلامي، وأكثر مرونة، وهذا لم يُعجب بعض أنصاره، ولا زال هذا النزاع قائما داخل التيار الجهادي بين مؤيد لهذا الانتفاح وآخر رافض له؛ لأنه يرى أنه يَمَسُّ المنهج، فملاينة المخالف تعني بالضرورة تهوين أخطائه، وأما الموافق له فإنه يرى أن التقوقع هو سبب الفشل، ولكن لا شك للناظر أن هنالك مرحلة جديدة يفرضها الواقع، وعلى صخرة الواقع تتمَحَّصُ الآراء.

5- لقاء مع صحيفة الرأي العام الكويتية (ص172).
6- الإفادة في جمع رسائل ومقالات الشيخ أبي قتادة (ص52).

الكتابة الإبداعيـــة بين لذة التعبير وألم الشعور

الكتـــابة الإبداعيـة بين لذة التعبيـر وألم الشعــور

عبد الهادي اباغانم

كاتب مغربي وباحث في الأدب
حاصل على دبلوم الماستر في
الأدب العربي

لقـد ارتبـط الوجــود الإنسـاني ارتباطـا فعليـا في مجـال الأدب بالألـم كونه لصيقا بالجانب المحسـوس للــذات البشــرية، باعتبــاره بعــدا ســيكيولوجيا عصبيـا نفسـيا، قائمـا على ذلـك الحـس المرهـف بالخطــر الــذي يتهــدده، إذ إن هــذه الطبيعــة الحسـية لـدى الإنسـان تستشـعر وجـودا قائمـا على الحـس والإدراك الفعلـي، والوعـي والكينونـة والوجـود، فيكـون المسـار إلـى اتجـاه الـذات نحـو فعـل الكتابـة والتعبيـر عـن مخالـج نفسـها بطـرق مختلفـة، كالبـوح وإيضـاح رؤيتهـا الداخليـة للأشـياء والموجـودات وكـذا الأحـداث عبـر مشـاعر، فتفجرهـا بطـرق إبداعيــة عديــدة، كالشــعر والنثــر والنقــد وغيرهـا مـن الفنـون الإبداعيـة.

في كثيـر مـن الأعمـال الإبداعيـة تتفـرغ مجموعـة مـن التجـارب الإنسانيــة بشـعور الألـم ودلالاتـه، إذ يتمثـل بشـكل أو بآخـر في ذلـك التعبيـر الرمـزي المعنــوي المعبــر عــن الوجــود الإنســاني، كونــه وعيـا قائمـا على الثنائيـة الضديـة (الوجـود والعـدم)، وكـون هـذا الإنسـان يعيـش بالألـم ويوجد بــه على حــد تعبيــر نيكــولا غراهــام الــذي يــرى بـأن تجربـة الألـم هـي تجربـة معاشـة مـن الجانـب

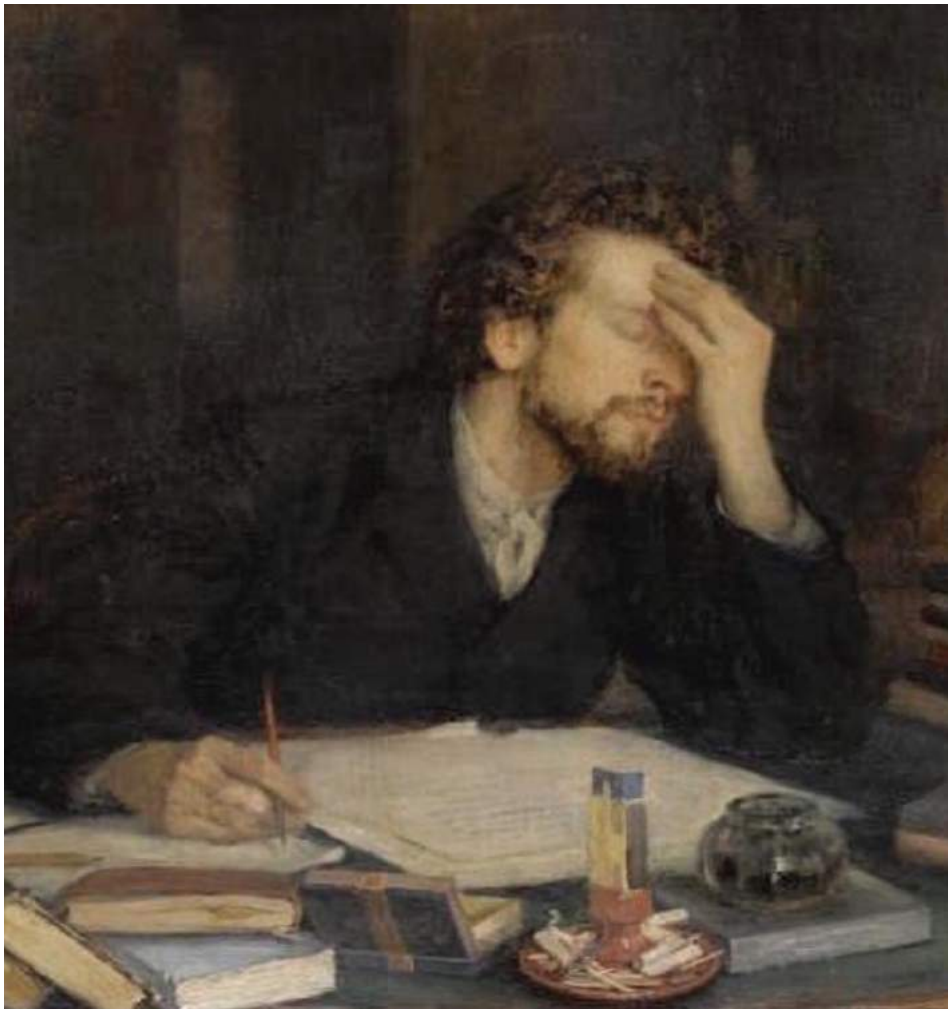

في كثير من الأعمال الإبداعية تتفرغ مجموعة من التجارب الإنسانية بشعور الألم ودلالاته، إذ يتمثل بشكل أو بآخر في ذلك التعبير الرمزي المعنوي المعبر عن الوجود الإنساني، كونه وعيا قائما على الثنائية الضدية (الوجود والعدم)، وكون هذا الإنسان يعيش بالألم ويوجد به على حد تعبير نيكولا غراهام، فضلا عن كون هذا الألم يعد خبرة بشرية يجسدها السلوك الإنساني ويقولها النسق الخطابي.

البيولوجي، فضلا عن كون هذا الألم يعد خبرة بشرية يجسدها السلوك الإنساني ويقولها النسق الخطابي، وهذا ما نجده عند الفيلسوف النمساوي سيغموند فرويد الذي يرى بأن كل السلوكيات الناتجة عن الذات البشرية في بعدها المضمر قائمة على مبدأ العلاقة بالواقع، وطاقة الألم التي يستوعبها اللاوعي ليصعدها الوعي عن طريق أشكال من التعبير، وأنماط من التفكير والإبداع، إنها طاقة إنسانية تقوم على الإحساس وترقى إلى الظهور كأنظمة خطابية وسلوكيات وثنائيات ضدية، بمظهرين يتجليان في علاقة الإنسان بالغير وبنفسه.

وهكذا تتكلل الكتابة مجموع التجارب الواقعية والنفسية القائمة على مجابهة الألم بالألم، وعندما نتحدث عن الألم فإننا قد نجد الألم الصموت والألم المكبوت والألم المنطوق عبر صيحات ترددها الذات بأصدائها في نسق من العلامات اللغوية ودلالات تخييل الألم انطلاقا من منطلقات سلوكية لا واعية تنتج وعيا بالألم، مثل الخوف بالألم، وتوطين الألم، والبوح بالألم، والتعود على الألم، وأخلاق الألم، ومقاومة الألم، وقد يتجاوز الأمر بذلك إلى التمتع به والرغبة في عيش تجربة الألم وتفريغها عن طريق التعبير والكتابة الإبداعية المختلفة العرض والتصور، إذ إن كل تجربة إنسانية قائمة على ألم معين تتم عبر تأويلات حسية مجردة، وإخراج ما يؤلم الذات الكاتبة المعبرة إلى الوجود الفعلي وتوثيقه بطرق عديدة.

تتجلى لنا بعض التجارب الكتابية الحاضنة لأحاسيس وتيمات الألم في تلك الجموع الأدبية المعبرة عن التجارب الواقعية والمتخيلة من مثل الكتابة عن تجربة سجنية، والتي تدخل ضمن خانة أدب السجون كتجربة (الزنزانة رقم 10 لأحمد

المرزوقي، وتلك العتمة الباهرة للطاهر بنجلون)، كلها رموز كفاح معاشة في تجارب مختلفة النظير كالشقاء والبلاء، والعناء، والتضحية، والفداء، والخوف، والبكاء، والخشية، والعذاب، والمكابدة، والوجع، والحزن، والمأساة.

ولعل شعور المرارة الذي تعيشه الذات البشرية المبدعة المعبرة قائم على تخلصها منه عن طريق التقاسم ومشاركة الآخرين تلك التجارب والأحاسيس، لتجد في مقابل ذلك الذات المتلقية تعبيرا غير مباشر عن همومها وأحزانها، مشكلة لها بذلك متنفسا، نظرا لأن الكاتب يستدعي عن قصد أو بدون قصد تلك الأحاسيس والأحداث المعبر عنها في عمله الإبداعي الذي يكون على شكل سرود محكية بحبكة قد تلائم كل ذات متلقية حسب الوضعية التي يعيش فيها ومعها، فيكون بذلك قد عبر عن نفسه وعن ذات الجماعة أو أفراد معينين.

لعل ما يمكن تجريده والإفصاح عنه قد يبين لنا أن الذات الفردية لا يمكن عزلها عن ذات الجماعة بأي حال من الأحوال، كون هذه الذات تعاني عبر تاريخ طويل من قضايا اجتماعية، واقتصادية، ونفسية، قائمة بذلك على الارتباط بظروف مختلفة ولها خيوط تربطها مع مآسي عديدة جراء تذبذب الأحداث والأوضاع السياسية، والتخلف الاقتصادي، والتمزق العاطفي، في مختلف المجتمعات العربية، لذا فالرغبة لدى المبدع العربي مؤكدة وملحة في التعبير عن أحزانه وأحزان شعبه وجعل اتساماته الكتابية موقوفة على قضايا اجتماعية، وعاطفية، ووطنية شعبية.

كل هذا يضعنا موضع تأكد حول سبب نيل العديد من الكتاب المشاهير جوائز أدبية على كتاباتهم الإبداعية التي رافقتها تيمات وسمات الحزن والألم ولذة التعبير من إلمامهم بأحزان بيئتهم، والانغماس في هموم شعوبهم ما جعل هذه الأعمال تلقى إقبالا كبيرا، من مثل أعمال نجيب محفوظ وغيره من عمالقة الأدب العربي، وكذلك أعمال الكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي التي حظيت بمكانة شاهقة في ساحة

> **تتجلى لنا بعض التجارب الكتابية الحاضنة لأحاسيس وتيمات الألم في تلك الجموع الأدبية المعبرة عن التجارب الواقعية والمتخيلة من مثل الكتابة عن تجربة سجنية، والتي تدخل ضمن خانة أدب السجون، كلها رموز كفاح معاشة في تجارب مختلفة النظير كالشقاء والبلاء، والعناء، والتضحية، والفداء، والخوف، والبكاء، والخشية، والعذاب، والمكابدة، والوجع، والحزن، والمأساة.**

الأدب الروائي كون تجاربها مليئة بسمات حزن وألم انغمست بأحداث شعبية تعلقت بهموم الشعب الجزائري.

وكذلك نجد أيضاً كتاب مغاربة أبدعوا فأحسنوا الإبداع من مثل أحمد بوزفور، ومحمد زفزاف، ومحمد شكري، فهذا الأخير على سبيل المثال بأعماله الروائية الشهيرة، أبرزها رواية «الخبز الحافي» التي نقل بها تجربة سردية محبوكة مثلت الواقع الحزين وعرت عنه وعن الألم الذي رافقها، وشعور اللذة في نقل مآسي عاشها وعاشت فيها طبقة كبيرة من الهامش الذي نشأ وترعرع فيه.

إنها نماذج باذخة حية لكتاب وروائيين حققوا نجاحات باهرة لم يكن ليتحقق لهم ذلك النجاح لولا اقتحامهم لمحيطهم الاجتماعي والسياسي وانغماسهم في أحزان شعوبهم المهمشة أصلا، إن أمتنا العربية تعيش أعراسا من الأحزان والمآسي جراء ما نعيشه من قضايا وظواهر نلامس فيها الألم والتهميش، وقضايا الإنسانية ومآسيها ونلامس فيها أيضا لذة التعبير عن هذه الآلام بطرق سرد مختلفة تجد نفسها تتفنن في سرود ومحكيات قد تجمع أحيانا بين واقع ومتخيل لتضيف له ما تضيف من المتعة في التلقي والقراءة وملامسة شعور المتلقي، وغالبا ما نجد الأعمال قائمة ومعتمدة في بناء سرودها على ما هو واقعي ومعاش في بلاد العرب التي لامست الأحزان والمآسي في عيشها وسيرورة زمانها، إنه الشيء الذي يجعلنا نتساءل كيف لا تكون أعمال كتابنا العرب الإبداعية باذخة حزنا نظراً لكونها تحمل ما تحمل من الآلام والمرارة؟

وإننا أمام متلقي يتجه ويهوي به اهتمامه إلى ما يعبر عنه وعن ظروفه مما ينسجم مع أوضاعه وحالاته النفسية، ولذلك فإنه لا يمكن لأي أدب أو عمل فني مبتكر من طرف أي كاتب أو مبدع كيفما كان صداه الإبداعي أن يقارن أو يرقى إلى مكانة كتاب عبروا عن أحزان وهموم شعوبهم وآلامهم فأصابوا التعبير وأتقنوا حبكة سرد التجارب التي جمعت بين لذة التعبير وآلام الشعور في كتابات إبداعية محبوكة بامتياز.

إننا أمام متلقي يتجه ويهوي به اهتمامه إلى ما يعبر عنه وعن ظروفه مما ينسجم مع أوضاعه وحالاته النفسية، ولذلك فإنه لا يمكن لأي أدب أو عمل فني مبتكر من طرف أي كاتب أو مبدع كيفما كان صداه الإبداعي أن يقارن أو يرقى إلى مكانة كتاب عبروا عن أحزان وهموم شعوبهم وآلامهم فأصابوا التعبير وأتقنوا حبكة سرد التجارب التي جمعت بين لذة التعبير وآلام الشعور في كتابات إبداعية محبوكة بامتياز.

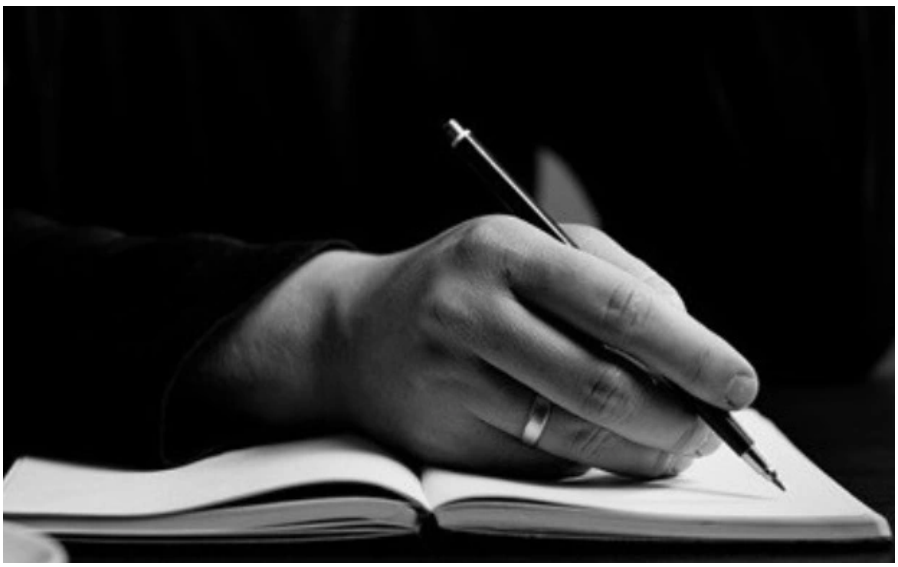

سُبل

subulmagazine.com
subul.magazine@gmail.com
facebook: subul.magazine